

تأليف الدكتور
محمد إسماعيل المقدم



خُدْعَةُ

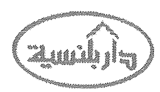
هَرْمَجِدُّوْنَ

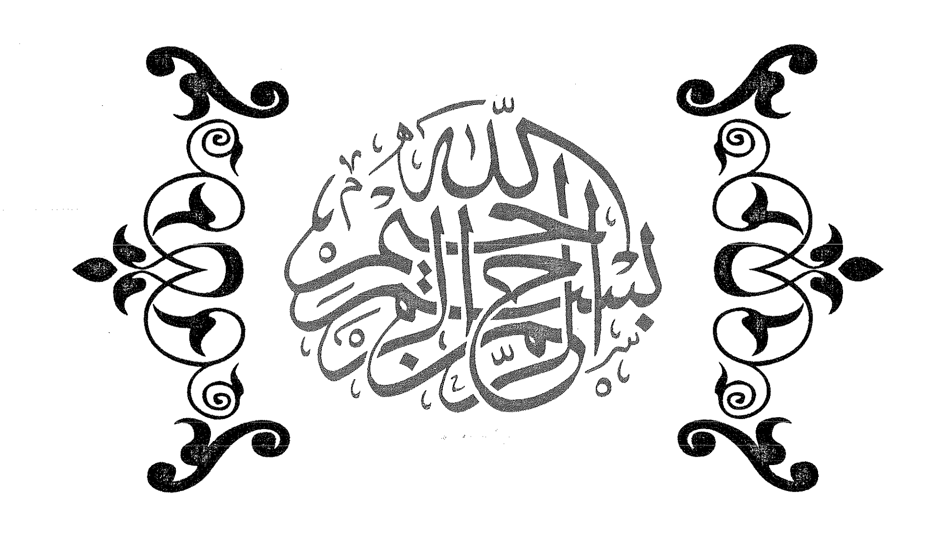
خُدْعَةُ

هَرْمَجِدُّونْ

إعْداد

دكتور / محمد بن إسماعيل المقدَّم





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعد...

فقد شاع في السنوات الأخيرة ظاهرة محدثة، وهي الخوض في علامات آخر الزمان، وأشراط الساعة بأسلوب حافل بالتجاوزات والمآخذ[1]، ومن أبرز مظاهر ذلك: الكلام عن ما يسمى معركة «هَرْمَجِدُّوْنَ» القادمة بين المسلمين والغربيين، وقذفت المطابع بسيل من الكتب والمقالات تروِّج لهذا المصطلح الدخيل، ويدعي أصحابها أنها مرادفة «للملحمة» التي أخبر النبي ﷺ بوقوعها، دون أن يفطنوا للأبعاد الخطيرة وراء تقبل ـ بل أسلمة ـ هذا المصطلح العبري الدخيل، ودون أن يلتفتوا إلى الفروق الجذرية بين «الملحمة» وبين «هرمجدون».

وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (سورة الأنعام: ٥٥)، فجعل كشف «سبيل المجرمين» من مقاصد الرسالة، كي يَحْذَرَهم المسلمون، ويطبقوا مبدأ «اعرف عدوك».

---

(١) وقد بيَّنت ذلك مفصلاً في كتابي «فقه أشراط الساعة».

وفي هذه الرسالة حاولت تتبع الجذور الاعتقادية للأصولية النصرانية(•)، وكيف تم تهويدها لصالح اليهود، وانعكاسات ذلك على الأمة المسلمة في هذا العصر، الأمر الذي قد يزيح كثيراً من علامات الاستفهام بل التعجب؛ عن سلوك الغرب إزاء قضايا المسلمين بعامة، وقضية فِلَسطين بخاصة.

والله عزَّ وجلَّ المسئول المرجو الإجابة أن يرد المسلمين إلى دينهم ردًا جميلاً، وأن يُحْبِطَ كيد أعدائهم، ويردَّه في نحورهم.

وصلى الله، وسلم، وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد إسماعيل المقدَّم

الإسكندرية في: الجمعة ٨ رجب ١٤٢٤ هـ

الموافق ٢٠٠٣/٩/٥ م

(•) انظر معنى «الأصولية النصرانية» بهامش (٥) ص (١٦).

العَداء التقليدي بين أهل الكتاب

كان النصارى يكرهون اليهود، ويُبغِضونهم، ويضطهدونهم طوال القرون الماضية، حيث كانوا ينظرون إليهم على أنهم قتلة المسيح ـ حسب عقيدتهم الباطلة ـ وأنهم من أشد الطوائف التي قامت بتعذيب واضطهاد تلاميذ المسيح عليه السلام والنصارى الأوائل.

وكانت بريطانيا قد طردتهم منها منذ أوائل القرن الثالثَ عشرَ الميلادي، ومنعتهم من دخولها مدة ثلاثة قرون، وأدركت فرنسا مكائدهم حتى اضطر «لويس التاسعَ عشرَ» لطردهم وحرق تلمودهم، وقال كلمته المشهورة ـ التي تمثل بها «نابليون» ـ: «أفضل حجة مع اليهودي أن تغرز خنجرك في معدته»[1].

وكان العَداء النصراني لليهود على أشده إبان الحملات الصليبية، فقد كان المحاربون الصليبيون أول من بدأ المذابح اليهودية، وهم في طريقهم إلى فِلَسطين.

وبعد استرجاع النصارى الأندلسَ في نهاية القرن الخامس عشْر جرى طرد اليهود مع المسلمين من أسبانيا، وأقام الأسبان محاكم تفتيش لليهود المتسترين وراء اعتناق النصرانية[2]، ودام هذا الطرد خمسة قرون.

---

(١) انظر: «اليهود تاريخ إفساد وانحلال ودمار» للدكتور توفيق الواعي، ص(١٩٥-٢٠٥).

(٢) انظر: «المسيح اليهودي ونهاية العالم» للصحافي رضا هلال ص(١٤٤)، وهو بحث متميز حول ظاهرة النصرانية السياسية والأصولية في أمريكا ـ نشر مكتبة الشروق ـ القاهرة ـ ١٤٢١هـ.

تنبيه: اعلم أن الصواب إطلاق لفظ «النصارى» وليس «المسيحيين»، وكذا «النصرانية» بدل «المسيحية»، وإن كنت ـ غالبًا ـ أثبت اللفظين التزامًا بدقة النقل عن مصادر البحث، وانظر (ص: ٦٤-٧٣).

وحذر الرئيس الأمريكي «بنيامين فرانكلين» من الخطر اليهودي على الولايات المتحدة في مؤتمر إعلان الدستور سنة (١٧٨٩)، وكان مما قال: «إنني أحذركم أيها السادة، إذا لم تمنعوا اليهود من الهجرة إلى أمريكا إلى الأبد؛ فسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبوركم»[١].

نقطة التحول

لقد ولدت في القرن السادس عشر الميلادي وجهة نظر جديدة عن الماضي والحاضر اليهوديَّيْنِ، وتحول ـ تبعًا لذلك ـ الموقف من اليهود نظريًّا وعمليًّا، إذ قام ما يسمى «بحركة الإصلاح الديني» التي دعا إليها «مارتن لوثر» الذي تنظر إليه الفرق البروتستانتية على أنه المصلح الذي قاد تلك الحركة في مواجهة البابوية الكاثوليكية التي كانت تبيع صكوك الغفران.

لقد دعا «لوثر» النصارى إلى إجلال اليهود وتعظيمهم، وكان مما قال لهم: «شاءت الروح القدس أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس للعالم عن طريق اليهود وحدهم، إنهم الأطفال ونحن الضيوف الغرباء، **وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فتات أسيادهم اليهود**».

وقال لهم: «إن إعادة اليهود إلى أرض فِلَسطين هو تحقيق للنبوءات الواردة بالكتاب المقدس تمهيداً لعودة المسيح إلى الأرض، وحكمه لها مدة ألف سنة من القدس أرض ميعاد اليهود»[٢].

---

(١) «اليهود تاريخ إفساد وانحلال ودمار» ص(١٩٧).

(٢) «المنظمات اليهودية المسيحية» لأحمد تهامي سلطان (ص:٩).

لقد تنكر «لوثر» للاعتقاد الكاثوليكي حول اليهود، وروَّج لفكرة أن اليهود أمة مختارة مفضَّلة، حتى وُصفت حركته بأنها «بعث عبري ـ أو يهودي»[١].

ومن هنا نشأ تعظيم النصارى لليهود، وبدأ ظهور ما يسمى بالحركات الصهيونية المسيحية، وبدأ الاختراق الصهيوني للنصرانية، وبدأ النصارى يعيدون تفسيراتهم للكتاب المقدس[٢] ـ عندهم ـ ونصوصه باعتبار أن اليهود «شعب الله المختار، وهم القديسون، فمن يباركهم يباركه الرب، ومن يلعنهم يلعنه الرب»[٣].

وما لبث اللاهوت البروتستانتي تجاه اليهود أن انتشر في شمالي أوروبا، ثم انتقل إلى العالم الجديد (أمريكا)، بما تضمنه من الاعتقاد بالتفسير الحرفي للنبوءات التوراتية، وبالإحياء القومي لشعب اليهود، وتحول الاعتقاد البروتستانتي بالإحياء القومي لليهود، وقيام مملكة إسرائيل قبل المجيء الثاني للمسيح، إلى حركة سياسية «مسيحية صهيونية» سبقت الحركة اليهودية ـ الصهيونية في الدعوة إلى قيام وطن لليهود في فِلَسطين[٤].

---

(١) «المسيح اليهودي» (ص: ١٤٤).

(٢) وقد أهدرت الحركة البروتستانتية حق الكنيسة الكاثوليكية في احتكار تفسير نصوص الكتاب المقدس عندهم، مما فتح الباب للاختراق اليهودي عن طريق تفسير النصوص بصورة تروق اليهود، وتخدم أهدافهم.

(٣) «المنظمات اليهودية المسيحية» (ص: ٩).

(٤) «المسيح اليهودي» (ص: ١٤٥).

ـ وانظر تفاصيل ذلك في «حمى سنة ٢٠٠٠» (ص: ١٤٤-١٤٥)، (ص: ٢١١-٢١٢).

ظاهرة التراث «اليهو ـ مسيحي» المشترك

شهدت السياسة الأمريكية طيلة عقد التسعينيات ما أصبح يعرف بمسمى «حزب الله»، وهو تعبير أطلقته مجلة «القرن المسيحي» Christian Century على تحالف الإيفانجيليين والحزب الجمهوري.

بيد أن صعود «حزب الله» (اليمين الإيفانجيلي والجمهوري) عبر الربع الأخير من القرن العشرين؛ ارتبط بصعود ظاهرة اليهو ـ مسيحية Judeo - Christianity[١]، التي وجدت أساسها في مقولة التراث اليهودي ـ المسيحي، أي تماثل القيم اليهودية والمسيحية، التي تُرجمت في النهاية إلى: توافق القيم الإسرائيلية الأمريكية[٢].

لقد جذَّرت البروتستانتية التراث اليهو ـ مسيحي، إذ أصبحت التوراة جزءاً من الإيمان البروتستانتي، كما أصبحت عودة اليهود كأمة إلى فِلَسطين تمثل عصب الإيمان البروتستانتي المبني على التوراة، إذ إن نبوءات التوراة تتضمن أن

---

(١) ويكفي في الدلالة على طغيان هذا الاصطلاح على الساحة الثقافية الأمريكية، وعلى أن من حاد عنه فإن اللوبي اليهودي له بالمرصاد؛ أن «كيرك فورديس» حاكم ولاية ميسيسيبي الجمهوري، لما صرح خلال أحد المؤتمرات بأن «أمريكا أمة مسيحية» اشتعلت ضده وضد الحزب الجمهوري الذي ينتمي إليه حملة إعلامية ضخمة انتهت بتصحيح الموقف على لسان «كارول كامبل» حاكم كارولينا الجنوبية ليرد على فورديس مؤكداً على أهمية التراث «اليهو ـ مسيحي»، ثم اعتذر «فورديس» نفسه بأن تصريحه أسيء نقله، وبأنه مؤمن بأن تقاليد أمريكا الدينية والأخلاقية هي تقاليد «يهو ـ مسيحية»، ومِن يومها لم يجرؤ أحد في الحزب الجمهوري على أن ينسى وضع كلمة «يهو» قبل «مسيحية» في سياق الكلام عن التقاليد الأمريكية الأخلاقية والدينية، انظر: «المسيح اليهودي» (ص: ١٣٧)، بل وصف «جيري فالويل» الولايات المتحدة بأنها: «جمهورية نصرانية يهودية»، انظر: «واقدساه» (١/ ٥٤١).

(٢) «السابق» (ص: ١٣٣).

اليهود سوف يعودون إلى فلسطين، ثم يصبحـون مسيحيين حتى وإن مات منهم كثـيرون في مـعركـة «هرمجـدون» الفاصلـة، ولم يبق منهم إلا ١٤٤ ألفًا مع المجيء الثاني للمسيح ليشملهم الخلاص في الألف عام السعيدة.

وهكذا فإن التـراث اليهودي للنصرانيـة الأمريكية ـ كمـا يقول بول فندلي ـ جعـل الكثيـرين من النصارى الأمـريكيين يقرون بأن إنشـاء دولة إسرائيـل عام ١٩٤٨ جاء كتحصيل للنبـوءات التوراتية، وأن الدولة اليهودية ستظل تلعب دورًا مركزيًا في مخطط السماء والأرض.

قال القس «بات روبرتسـون»: «إن إعادة مولد إسرائيل هي الإشـارة الوحيدة إلى أن العـد التنازلي لنهاية الـكون قد بدأ، وإن بقـية نبـوءات الكتاب المقـدس أخذت تتحقق بسرعة مع مولد إسرائيل».

ويعتبر «روبرتسون» عودة القـدس إلى اليهود «أهم حدث تنبؤي في تاريخنا، وأن زمان غير اليهود قد قارب على النهاية»[١].

وجاء انتـصار الدولة اللقيطة في حـرب يونيو ١٩٦٧[٢]، واحتـلال القدس، ليمثل عند النصـارى الأمريكيين تأكيدًا لنبوءات التوراة وقـرب مجيء المسيح[٣]،

(١) «المسيح اليهودي ونهاية العالم» ص(١٦٥).

(٢) وقد أطلقوا عليها اسم «حرب الأيام الستة» رغم أنها لم تكن ستة أيام، لأن النبي «يوشع» شن حرب الستة الأيام عـلى أعدائه يوم الاثنين، وظل يحاربهم إلى أن حلَّ مسـاء الجمعة، فـسأل الله أن يؤخر غروب ذلك اليوم، حتى يجهز على أعدائه قبل أن يبدأ السبت، كما في «واقدساه» (١/ ٤٦٧).

(٣) لأن النصارى ادعـوا أن احتلال القدس عـام ٦٧ أعظم دليل على أن التوراة حق، لأنها أخـبرت عن عودة اليهود إلى القـدس، وأن الإنجيل حق لأنه أخبر أيضًا بعودة اليهود إلى الـقدس، وما داموا قد عادوا إليها كما أخبر الكتابان، فلابد أنهم سينتصرون في النهاية كما أخبرت نصوصهما بذلك أيضًا، انظر: «حمى سنة ٢٠٠٠» (ص: ١٤٦).

وقد عبرت عن ذلك مجلة (Christianity Today) في عدد (٢١/ ٧/ ٦٧) بقولها: «لأول مرة منذ أكثر من ألفي عام؛ فإن القدس الآن كاملةً بأيدي اليهود، مما يعطي لدارس التوراة إيمانًا عميقًا ومتجددًا في صحتها وصلاحيتها»[١].

بل إن الأمريكيين باعتبارهم أنفسَهم «الشعبَ المختار الجديد»[٢] استعادوا حكايات وبطولات التوراة في أدوار معاصرة في أمريكا «أرض الميعاد الجديدة»[٣].

ولحقت الكاثوليكية بالبروتستانتية، حيث تحولت هي الأخرى إلى «نصرانية صهيونية» سُخِّرت لخدمة تأكيد شرعية الدولة اللقيطة، واحتلالها للقدس والأراضي الإسلامية[٤] حيث اعترف الفاتيكان بالكيان اليهودي عام ٩٣، ونظم مؤتمرًا في أكتوبر ٩٧ لمناقشة وثيقة رسمية عنوانها: «جذور معاداة اليهود في الوسط المسيحي»، وقد دعا هذا المؤتمر إلى مراجعة وتعديل بعض النصوص الدينية في «العهد الجديد»، وتعديل إنجيلَيْ «متى» و«بولس» لإنصاف اليهود، كما أكد المؤتمر على أن النصارى واليهود يتقاسمون الاعتقاد بالإله «يهوه» الإله اليهودي، وبأن المسيح والحواريين وُلِدوا يهودًا[٥].

---

(١) «المسيح اليهودي ونهاية العالم» ص (٨٣).

(٢) وفي هذا يقول اللاهوتي السياسي «روساس راشدوني»: «إن الشعب الأمريكي هو الشعب المختار الجديد الذي عاهد الرب على بسط سلطته على العالم»، وانظر «المسيح اليهودي» (ص: ٤٥)، وما بعدها لتقف على تأثر المهاجرين البروتستانت الأوائل إلى أمريكا بالتصورات اليهودية القديمة، حتى إنهم طبقوا أسلوب مطاردة وإبادة الهنود الحمر اقتداءً بمطاردة العبرانيين القدماء للكنعانيين في أرض فلسطين.

(٣) انظر: «المسيح اليهودي» (ص: ١٣٣-١٣٤).

(٤) «السابق» (ص: ١٤٩).

(٥) «السابق» (ص: ١٤٧).

وفي خطاب «كارتر» أمام الكنيست في مارس ١٩٧٩ قال الرئيس الأمريكي الأسبق: «إننا نتقاسم معًا ميراث التوراة» وأعلن في بيانه الانتخابي في العام نفسه: «أن تأمين إسرائيل المعاصرة هو تحقيق للنبوءات التوراتية»[١].

وفي كتابها «النبوءة والسياسة» تقول الباحثة الأمريكية «جريس هالسل»: «إن اليمين المسيحي كان مستعدًا، بل راغبًا بكل قوة في إشعال حرب نووية من أجل إسرائيل تحقيقًا للنبوءات التوراتية»[٢].

ولقد جسدت كلمات «إيوجين روستو»[٣] حقيقة الالتحام بين التراثين اليهودي والنصراني من جهة، وتديين السياسة الأمريكية من جهة أخرى، تلك الكلمات التي أزاحت اللثام عن التفسير الحقيقي للتدعيم الأعمى الذي تلقاه الدولة اللقيطة من السياسة الأمريكية، إذ قال: «يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول وشعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية.

لقد كان الصراع محتدمًا ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي.

إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا هي جزء مكمل للعالم الغربي: فلسفتِه، وعقيدتِه، ونظامِه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي

(١) «السابق» (ص: ١٣٥).

(٢) «السابق».

(٣) رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس «جونسون» لشئون ما يسمى «الشرق الأوسط» حتى عام ١٩٦٧.

بفلسفته، وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصِّهْيَوْنِيَّة، لأنها - إن فعلت عكس ذلك - فإنها تتنكر للغتها، وفلسفتها وثقافتها، ومؤسساتها» اهـ[١].

وقال المستشار الأمريكي السابق للأمن القومي «بريجنسكي»: «إن على العرب أن يفهموا أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية لا يمكن أن تكون متوازنة مع العلاقات العربية، لأن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية علاقات مبنية على التراث التاريخي والروحي»[٢].

وقال القس الأمريكي «جيمي سواجارت»: «إن الرب يقول: إنني أبارك من يبارك إسرائيل، وألعن من يلعنها، وبفضل الرب مازالت الولايات المتحدة متفوقة، وأعتقد أنها لم تبلغ ما بلغت إلا بمساندتها لإسرائيل، وأدعو الله أن يدوم دعمنا لإسرائيل»[٣].

لقد طالب النصارى الصهاينةُ قادتَهم وزعماءهم بأن يضعوا نبوءات كتبهم المقدسة عندهم نصب أعينهم عند رسم الخطط والسياسات الاستراتيجية، وأن يكون لهم دور في صنع الأحداث القادمة، وألا يتركوا الأحداث للأقدار، بل يجب أن يعجلوا بها حتى يسرع المسيح في العودة لإنقاذ شعب الله المختار - اليهود في زعمهم - ويقيم المملكة الإلهية على الأرض، فينشر السلام والأمن والرخاء[٤].

---

(١) «معركة المصير» (ص: ٨٧).
(٢) «قبل أن يهدم الأقصى» (ص: ١٦٠).
(٣) «السابق» (ص: ١٦٢).
(٤) «الحرب العالمية القادمة» (ص: ٣٢).

وقال «جون وليام»: «مستقبل المسيحيين في العالم يتحدد بتعضيد إسرائيل ماديًّا، لتثبت وجودها في تحقق إرادة الله بمنتهى الأمان، ويعود المسيح ثانية»(١).

أما «أوليفر كرمويل» راعي الكومنولث البريطاني فقد أعلن أن الوجود اليهودي في فلسطين هو الذي يمهد للمجيء الثاني للمسيح(٢).

وقال «حاييم وايزمان» ـ مؤسس الدولة الصهيونية في مذكراته ـ: «إذا سأل سائل: ما أسباب حماسة الإنجليز لمساعدة اليهود وشدة عطفهم على أماني اليهود؟ فالجواب على ذلك: أن الإنجليز هم أشد الناس تأثرًا بالتوراة، وتديُّن الإنجليز هو الذي ساعدنا في تحقيق آمالنا؛ لأن الإنجليزي المتدين يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب إعادة اليهود إلى فلسطين، وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية في هذه الناحية أكبر المساعدات» اهـ(٣).

بل كان «بَلْفور» صاحب الوعد المشهور(٤) ـ وعد من لا يملك لمن لا يستحق ـ يردد بفخر قائلاً: «أنا صِهْيَوْني أكثر من أي صهيوني آخر»، وقال عنه «وايزمان» في مذكراته: «أتظنون أن بلفور كان يحابينا عندما منحنا الوعد؟ كلا إن الرجل كان يستجيب لعاطفة دينية يتجاوب بها مع تعاليم العهد الجديد»(٥) اهـ.

وقال بلفور نفسه: «الدول الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية، وسواء كانت الصهيونية على صواب أو على خطإٍ، صالحة أو باطلة؛ فإنها ذات جذور عميقة

---

(١) «الحرب العالمية القادمة» (ص:١٥٢).

(٢) «المنظمات الصهيونية المسيحية» (ص:١٢).

(٣) «مقارنة الأديان» للدكتور أحمد شلبي (ص:١٠٦).

(٤) وقد اعترف «وايزمان» في مذكراته أنه هو الذي كتب هذه الوثيقة المسماة بوعد بلفور ـ بنفسه، بناءً على طلب اللورد بلفور كما في «عقيدة اليهود في تملك فلسطين» (ص:٢١٦).

(٥) «قبل أن يهدم الأقصى» (ص:١٥٩).

في تقاليد العصر واحتياجاته ومستقبله على نحو أعمق بكثير»[(١)]، وقالت أخت «بلفور» عنه: «لقد تأثر بلفور منذ نعومة أظفاره بدراسة التوراة في الكنائس... ومازلت أفكر أنني في طفولتي اقتبست منه الفكرة القائلة بأن الدين النصراني والحضارة النصرانية مدينة بالشيء الكثير لليهود»[(٢)].

فلا عجب من أن يقول «بن جوريون» في الكنيست: «نحن مدينون بنجاحنا في إقامة دولة إسرائيل بـ ٩٧,٥٪ للسياسة المسيحية التوراتية، وبـ ٢,٥٪ للحرب والجيش».

وقال «بنيامين نتنياهو»: «لقد كان هناك شوق قديم في تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل، وهذا الحُلم الذي يراودنا منذ ٢٠٠٠ سنة تحقق من خلال المسيحيين الصهيونيين»[(٣)].

وقال «نتنياهو» أيضًا: «إن الذين يستغربون مما يظنون أنه صداقة حديثة بين إسرائيل ومؤيديها المسيحيين؛ يجهلون أمر اليهود أو المسيحيين، إن هناك روابط روحية تشدنا بإحكام وثبات، إنها شراكة تاريخية أدت وتؤدي دورها بشكل جيد لتحقيق الأحلام الصِّهَيَوْنية»[(٤)].

ويقول المنصِّر الأمريكي «فالويل» زعيم الأصوليين[(٥)]: «إنه يتمنى أن تأخذ إسرائيل أراضٍ جديدة فيما يعرف اليوم بالعراق، وسورية، وتركيا، والسعودية،

(١)،(٢) «الحرب العالمية القادمة» (ص: ١٤٩).
(٣) «النبوءة والسياسة» (ص: ١٤٠).
(٤) «السابق».
(٥) يطلق مصطلح «الأصولية» Fundamentalism الذي ظهر عام ١٩١٠م على الاتجاهات الدينية المتشددة في مسائل العقيدة والأخلاق، والمؤمنة بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس (عندهم) سواء العهد القديم أو العهد الجديد، والمقتنعة بأنه يتضمن توجيهات لمجمل الحياة بما في ذلك الشئون =

ومصر، والسودان، وكل أراضي لبنــان، والأردن، والكويت، لأنها أصلاً للأمة اليهــودية. . . إن الله قد بارك أمــريكا، لأن أمريكا تــعاونت مع الله في حــماية شعب غالٍ عليه»[١].

أما القس «بيلي جــرام» فقد خطب في تجــمع كبيــر إبان ما سُمِّي «بعاصــفة الصحــراء» قائلاً: «إن القــوى الروحية بدأت عــملها في الخليج الــفارسي، وإننا عائدون إلى أراضي الكتاب المقدس»[٢].

وتقــول «لي أوبريــن»: «يرى أصحــاب هذا الفــهــم ـ أي من الأصــوليين الإنجيليين ـ الذي يــتغلغل في الفكر الأمريكــي أن الله اختار الولايات المتــحدة، وباركها بصورة خاصة من أجل إسرائيل»[٣].

وإذا أطللنا من خلال نافذة الــتاريخ، أدركنا أن «النصرانية الصهــيونية» ذات جذور عميقة في الوجدان الغربي:

فقد كــان «كريستوفر كولومــبوس» مثلاً يعتــقد أن مغامرته لاكتــشاف العالم الجديد تأتي ضمن خطة الرب لعودة المسيح، وبدء الألــف عام السعيدة، وسوف تقود في النهــاية إلى تحرير أورشليم من المسلمين «الكفار في زعــمه» وإعادة بناء المعبد، وقال كريستوفر لــلملكة إيزابيلا: «إنه سوف يستخدم الذهب الذي يجده في العالم الجديد في إعادة بناء المعبد لكي تكون أورشليم مركز العالم»[٣].

= السياسية، وبخاصة النبوءات التي تشير إلى أحداث مستقبلية تقود إلى بعث إسرائيل، والمجيء الثاني للمسيــح، والملتزمة بالتــبشير بين أولئك الذيــن لم يعتنقوا هذا الاعتــقاد، وانظر: «المسيح اليــهودي» (ص:١٥٦).

(١) صحيفة (Career Time) تاريخ (٦/ ٢/ ٨٣).

(٢) جريدة (U.S. News) في (١٩/ ١١/ ٩٠).

(٣) «نذير ونفير» (ص:٢٠٤).

(٤) «المسيح اليهودي» (ص:١٣٨).

ـ وحين انطلق «نابليون بونابرت» من مصر سنة ١٧٩٩م بعد حملته عليها، وجَّه نداءه إلى يهود العالم كافة يستحثهم فيه على الانضواء تحت رايته لإعادة بناء ما أسماه «مجد اليهود الضائع في القدس»[(١)].

وفي عام ١٨٣٩م حث اللورد «أنطوني أشلي كوبر» جميع اليهود على الهجرة إلى فلسطين، وقال: «إن اليهود يلعبون دوراً رئيسيًا في الخطة الإلهية حول المجيء الثاني للمسيح»، فالمجيء الثاني للمسيح سيتحقق فقط عندما يكون اليهود يعيشون في إسرائيل المستردة، وقال: «إنه يجب عليه وعلى الإنجليز مساعدة الله[(٢)] لتحقيق الخطة الإلهية بنقل جميع اليهود إلى فلسطين، لأن اليهود ضروريون بالنسبة للأمل المسيحي في الخلاص... إن فلسطين بلاد بدون أمة لأمة بدون بلاد»[(٣)].

لستم على شيء

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ (سورة البقرة:١١٣)، ونحن نقول: صدقتما، فليس أحد منكم على شيء.

لقد حاولت النصرانية الصهيونية أن تجمع بين القطبين المتنافرين كَرْهًا حينما أطلقت على الملتين «ديانتي الكتاب المقدس، والوصايا العشر» مع تنافرهما الصارخ في جذور العقيدة واختلافهما في قضايا التوحيد، والبعث، وشخصية المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

---

(١) انظر: «حماس: حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين» (ص:١٦)، «واقدساه» (ص:٤٩٥) وما بعدها.
(٢) تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيراً.
(٣) «المنظمات الصهيونية المسيحية» (ص:١٣٧).

وراح الأصوليون الإنجيليون يُمَنُّونَ أنفسهم بدخول ما يسمونه «الشعب المختار» في ملتهم، وراح اليهود يناورون، ويراوغون كعادتهم.

ـ فقد كان هدف «مارتن لوثر» النهائي هو تحويل اليهود إلى البروتستانتية، وبدلًا من أن يفعل اليهود ذلك؛ كانوا يجمعون الأنصار لتهويد النصارى، ولذلك انقلب عليهم «لوثر» وعبر عن بغضه إياهم في كتابه «ما يتعلق باليهود وأكاذيبهم» الذي وضعه عام ١٥٤٤م، وطالب فيه بطردهم من ألمانيا[١].

ـ وبالرغم من أن التلمود يقول: «سيأتي المسيح الحقيقي، ويحصل النصر المنتظر، ويقبل المسيح وقتئذ هدايا كل الشعوب، ويرفض هدايا المسيحيين، وتكون الأمة اليهودية إذ ذاك في غاية الثروة لأنها تكون قد حصلت على جميع أموال العالم»[٢].

إلا أن «هرتزل» عرض على «بيوس العاشر» الملقب بالبابا في عام ١٩٠٤ أن يتحول اليهود إلى النصرانية بعد إقامة إسرائيل، غير أن «بيوس» لم تنطلِ عليه الحيلة، فرفض العرض اليهودي[٣].

---

(١) «المسيح اليهودي» (ص: ١٤٥).
(٢) انظر: «نذير ونفير» (ص: ١٨٧).
(٣) روت ذلك «روث بلاو» في مذكراتها التي تحمل عنوان: «يهود... لا صهاينة»، كما في «المسيح اليهودي» (ص: ١٤٩).

تـلك أمانيهـم !

يمني النصـارى أنفسـهم بأن «خـلاصة» اليـهـود سـوف يدخلـون في ديانـة المسيح عندمـا يعود، أما بقـيتهم من غـير المؤمنين به[١] فسـوف يُقْتَلون مع باقي أعداء المسيح.

إن كلًّا من الـفريقين ـ اليـهود والنصارى ـ يـحاور الآخر، ويراهن عـليه، ويريد أن يدخله مع أتباع مـسيحه، تقـول الباحثة الأمـريكية «لي أوبرين»: «من التناقضات الظاهرية في عمل المنظمات اليهودية الأمريكية مع (طائفة الإنجيليين)، تناقض يدور حـول التوتر بين رغـبة الإنجيلـيين في التنصيـر، وبين الاشتـباه في مقـاومة اليهود الأمـريكيين للنشاط التبـشيري، فـفي حين أن المذاهب اللاهوتية لكثرة من البروتستانت تصف إنشاء دولة إسرائيل بأنه تحقيق لنبوءة توراتية، فإنها أيضًا تذهب إلـى أن تَجَمُّع اليهـود مجرد تمهـيد لتنصـيرهم قبـل المجيء الثاني للمسيح، ولهذا فأنصار السفارة المسيحية الدولية يشجعون محاولة تنصير أتباع أي مجـموعة دينيـة باستثناء اليـهود؛ إذ إنه من المحرم عليـهم التبشـير بينهم لأنهم سيؤمنون تلقائيًّا بالمسيح عندما ينزل»[٢].

ولا يـزال النصـارى الصهـاينة يعبـرون عن حُلْمهم في دخـول اليهـود في ملتـهم، إذ «عندمـا انعـقـد المجـمع العـالمي الثـاني للكنائس النصـرانيـة في

---

(١) ومع اتهام طوائف النصارى بعضهم لبعض بأنهم أتباع الدجال عندما يخرج؛ فإنهم مجمعون على أن اليهود هـم طليعة أنصاره، ورأس حربـته، وهم الذين سيقودون مـعسكر أعداء المسيح، ولـهذا فهم يعتقدون أن الله سينتـقم منهم في القدس وسيخربها، ثم يخلصها منهم، ويورثهـا للمسيح وأتباعه، وانظر: «حمى سنة ٢٠٠٠» (ص: ٢٣١).

(٢) «نذير ونفير» (ص: ١٩٨).

(أفانستون) عام ١٩٥٤م، قدمت له اللجنة المختصة ببحث علاقة اليهود بالكنيسة تقريرًا جاء فيه: «إن الرجاء المسيحي بالمجيء الثاني للمسيح لا يمكن بحثه عبر فصله عن رجاء شعب إسرائيل الذي لا نراه بوضوح فقط في كتب العهد القديم ـ التوراة ـ بل فيما نراه من عون إلهي دائم لهذا الشعب، ولا نرتاح قبل أن يقبل شعب الله المختار المسيح كملك»[1].

وأصدر مجموعة من الأساقفة في المؤتمر المذكور البيان الآتي:

«إننا نؤمن أن الله اختار إسرائيل ـ الشعب المختار ـ لكي يتابع خلاصه للبشرية، ومهما كان موقفنا، فلا نتمكن من نكران أننا أغصان قد تطعمت على الشجرة القديمة التي هي إسرائيل؛ ولذلك فإن شعب العهد الجديد لا يمكن أن ينفصل عن شعب العهد القديم... إن انتظارنا لمجيء المسيح الثاني يعني أملنا القريب في اعتناق الشعب اليهودي للمسيحية، وفي محبتنا الكاملة لهذا الشعب المختار»[2].

لقد دعا القس «بات روبرتسون» الواعظ التليفزيوني الأمريكي الشهير اليهود عام ١٩٩٥ إلى التحول إلى النصرانية قبل مجيء المسيح حتى يشملهم الخلاص، ولكنه تراجع عن دعوته بعد تعرضه لهجوم عاتٍ من اللوبي اليهودي واتهامه بمعاداة السامية.

---

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» (ص: ١٥٦).

(٢) «السابق».

وكان هذا التناقض قد ميَّعه «مناحم بيجن» بالاتفاق مع الحركة النصرانية الأصولية على تأجيل هذه المسألة حتى بناء الهيكل ومجيء المسيح، والتركيز على دعم إسرائيل، وأن تكون القدس عاصمتها الأبدية والموحدة[(١)].

إن الاختلاف حول شخصية المسيح الآتي، لم يعطل مسيرة العمل المشترك بين الفريقين تمهيداً لمجيئه، بل هما يتعاونان فيما اتفقا عليه وهو ضرورة إعادة بناء الهيكل في ساحة الأقصى، ثم عندما يأتي المسيح يكون هناك شأن آخر.

قال أحد زعماء اليهود لزملائه من النصارى: «إنكم تنتظرون مجيء المسيح للمرة الثانية، ونحن ننتظر مجيئه للمرة الأولى، فلنبدأ أولاً ببناء الهيكل، وبعد مجيء المسيح ورؤيته نسعى لحل القضايا المتبقية سوياً»[(٢)].

إن الغزل اليهودي النصراني لا يقف عند حد العواطف في عصرنا هذا، بل يترجم إلى تعاون في كل المجالات من أجل الأهداف الدينية المشتركة، والمتأمل في العلاقة بين النصارى واليهود في عصرنا هذا تصيبه الدهشة لهذا الانفراج غير العادي في العلاقات، وذلك التجاذب القهري بين القطبين المتنافرين بعد قرون طويلة من العداء والصراع.

ويبدو واضحًا أن الأساس اللاهوتي الصليبي هو الذي يفسر دعم النصارى لليهود وارتباطهم معهم ـ وخاصة أولئك الذين يزعمون أن كل نصوص العهد

---

(١) «المسيح اليهودي» (ص: ٢٢٤)، واعلم أن هذه العبارة الخبيثة التي تصف القدس «بالعاصمة الأبدية الموحدة للدولة اللقيطة» طالما يكررها اليهود والأصوليون الإنجيليون، ويلحون في تكرارها بمناسبة وغير مناسبة، كنوع من الحرب النفسية ضد المسلمين، ليؤيِّسوهم من استردادها وتحريرها، مع أن رسول الله ﷺ أخبر أن الخلافة ستنزل الأرض المقدسة، وفي حديث أبي أمامة: «**وكلهم ـ أي المسلمون ـ ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم، إذ نزل عيسى ..**» الحديث.

(٢) «نذير ونفير» (ص: ١٩٧).

القديم تحتوي على كل الحقيقة بما فيها وعد الله لإسرائيل في التوراة، ومِن ثَمَّ اقتناعهم بأن دولة إسرائيل الحديثة هي امتداد لدولة إسرائيل التوراتية، عندئذ لا يكون هناك أي عائق دون اعتناقهم للصهيونية النصرانية؛ ومن هنا نستطيع أن نفهم كيف استساغ الكثير من قادة النصارى ومبرزيهم في هذا العصر أن ينتسبوا إلى الصهيونية مع بقائهم على دين النصرانية[١].

جبرية الإنجيليين
في موقفهم من الدولة اللقيطة

«إن تلك الطوائف من النصارى تشارك اليهود اعتقادهم في أن إعادة بناء الهيكل سيعجل بقدوم المسيح، فالطرفان يؤمنان بأن اليوم الآخِر على الأبواب. وبالنسبة للنصارى فإن ذلك يعني أن المجيء الثاني للمسيح عيسى ابن مريم أصبح وشيك الوقوع، وأما بالنسبة لليهود فإن مجيء المسيح اليهودي المنتظر للمرة الأولى هو أيضًا وشيك القدوم، ويؤمن الطرفان بأن المكان الذي سيتم فيه ذلك القدوم هو (جبل الهيكل) في القدس؛ لأنه المكان الذي يجب أن يتم فيه إعادة بناء هيكل سليمان، وبموجب العقيدة السائدة بين النصارى؛ فإن التعاليم الإنجيلية تتطلب حدوث ثلاثة أمور قبل أن يتحقق المجيء الثاني للمسيح:

الأول ـ يجب أن تصبح إسرائيل دولة.

الثاني ـ يجب أن تكون القدس عاصمة يهودية.

الثالث ـ يجب أن يُعاد بناء الهيكل.

---

(١) «السابق» (ص: ١٩٩).

وفي نظر هذه الطوائف من النصارى واليهود لم يبق سوى إعادة بناء الهيكل ـ وهو الشرط الثالث ـ لكي يحدث المجيء المتوقع للمسيح»[١].

لقد أنجز اليهود ـ بمؤازرة النصارى الصهاينة ـ الهدفين الأول والثاني، أما الثالث فإنه مهمة الوقت التي يرونها قريبة.

جاء في كتاب «كوكب الأرض العظيم الراحل» الصادر عام ١٩٧٠: «إن عودة القدس إلى اليهود تمثل الخطوة قبل الأخيرة قبل نهاية العالم، إذ إن الخطوة الأخيرة هي إعادة بناء المعبد القديم فوق موقعه التاريخي القديم، وهو المكان نفسه الذي تقوم عليه الآن قبة الصخرة» اهـ[٢].

لقد كانت بهجة النصارى عظيمة لا تقل عن ابتهاج اليهود باحتلالهم القدس عام ١٩٦٧م، وقد عبر عن ذلك في حينه «راندولف تشرشل» عندما قال: «لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حُلْمَ المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود، إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين، وقد أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية، ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود»[٢].

ويحاول القوم مغالبة السنن، واستدعاء المصائب والفتن، وكأنهم يريدون أن يتحكموا في صناعة الأقدار، واستخراجها ـ عَنْوة ـ من مكنون الغيب ومستور

---

(١) «نذير ونفير» (ص: ٢٠٠).

(٢) «المسيح اليهودي ونهاية العالم» (ص: ١٠٨).

(٣) «حرب الأيام الستة» (ص: ١٣٩) من الترجمة العربية.

القضاء إلى عالم الشهادة، ولو أدى ذلك إلى إشعال نيران الحرب النووية المدمرة[١].

يقول المنصِّر «أوين»: «إن إرهابيين يهوداً سينسفون المكان الإسلامي المقدس ـ المسجد الأقصى ـ وسيستفزون بذلك العالم الإسلامي للدخول في الحرب المقدسة المدمرة مع إسرائيل ـ معركة هرمجدون ـ والتي سترغم المسيح المنتظر على التدخل لإنقاذ إسرائيل»[٢].

وعندما سئل القس «ديلوتش» عما إذا نجح اليهود الذين يؤيدهم في تدمير قبة الصخرة والمسجد الأقصى فأدى ذلك إلى اشتعال نيران الحرب العالمية الثالثة «معركة هرمجدون» فهل سيعتبر نفسه من المسئولين عن ذلك أم لا؟ أجاب قائلاً: «كلا. . . لأن ما سيفعله أولئك اليهود هو إرادة الله»[٣].

ويعتقد حوالي أربعين مليون أمريكي إنجيلي في الولايات المتحدة نفسها ـ بالإضافة إلى غيرهم خارج أمريكا ـ أن القوانين الوضعية لا تطبق على مصادرة اليهود، واغتصابهم أراضي فلسطين، بل هدم المسجد الأقصى، وإن تسبب في نشوب حرب عالمية ثالثة لأنهم ـ في اعتقادهم ـ يتصرفون حسب مشيئة الرب[٤].

---

(١) ولو أحسن اليهود والنصارى التفريق بين الأمور «الكونية القدرية» وبين الأمور «الشرعية الإرادية»، وحالفهم التوفيق الإلهي بفتح مغاليق قلوبهم؛ لأدركوا أن الأمور الكونية القدرية واقعة لا محالة، وأنها لا تُستدعى ـ قهراً ـ من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، فربما زالت عنهم الغشاوة، ولجنبوا البشرية كلها ـ وليس المسلمين فحسب ـ ويلات الحروب التي أشعلوها، والحروب التي يدقون طبولها صباح مساء.

(٢) «النبوءة والسياسة» (ص: ٥٧).

(٣) السابق (ص: ١٧١).

(٤) انظر: «البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي» (ص: ٩٩)، ولعل هذه الخلفية تفسر لنا بوضوح الانحياز الأمريكي الأعمى إلى جانب يهود ضد الفلسطينيين مهما ارتكبوا من جرائم وفظائع، وتفسر لنا أيضًا لماذا توضع «إسرائيل» فوق كل القوانين، وتستثنى من كل الإجراءات بما في ذلك التفتيش عن أسلحتها النووية والبيولوجية.

نبوءات في خدمة الجرائم والانتهاكات

وراء كل جريمة يرتكبـها يهود وأذنابهم «نبوءة» مـزعومة تُسَوِّغُـها لهم، وتضيء لهم الضـوء الأخضـر، كي يتمـادَوْا في بغيـهم وإفسـادهم، وليس للمستضـعفين المقهورين سوى أن يُسَلِّموا للنبـوءات «المقدسة»، حتى لو لم يُسَلِّموا بأنها «مقدسة»، لأنه هكذا أراد يهود، وهكذا فَهِمَ المغضوبُ عليهم، وأذنابهم الضالون.

لقـد قـال «بـن جـوريون» في تبـرير عـدوان (١٩٥٦م): «إنه يوطد أمن إسرائيل، ويحيمها من العدو، ويحرر أرض الأجداد من الغاصبين»[١].

ولما اعترض أحد الوزراء على احتلال الجـولان، وعلَّل اعتراضه بعدم وجود روابط توراتيـة، رد عليه «إيجـال آلون» قائلاً: «إن الجـولان قطعة من إسـرائيل القـديمة لا تقل أهميـة عن الخليل ونابلس»[٢]، وهبَّ زعـماء يهود يـؤكدون أن استيلاءهم على الأراضي المحتلة ما هو إلا تحقيق لنبوءات العهد القديم[٣].

وقال «مناحيم بيجن» في (٢٨/ ٥/ ١٩٦٨): إن الأراضي العربية المحتلة هي أراضٍ إسرائيلية حررتها إسرائيل من الحكم الأجنبي غير الشرعي»[٤].

وفي عام ١٩٨٣م نظم المنصِّـر «جيري فـالويل» رحلة إلى فلسطين، لإطلاع النصارى الأصـوليين على الأماكن المقـدسة هناك، وعلى الأخص الأمـاكن التي سوف تشهد مـعركة «هرمجدون»، ونظم لهم لقاءات مع قـادة سياسيين ودينيين

---

(١) «أهداف إسرائيل التوسعية» (ص: ٥١).

(٢)،(٣) «الوثيق الصهيونية في العهد القديم» لجورجي كنعان، ص (٧٢)،(١٠٣).

(٤) «أهداف إسرائيل التوسعية» (ص: ٦).

في الدولة اللقيطة، كان من بينهم «موشى أرينز» ـ وزير الحرب اليهودي آنذاك ـ، وفي هذا اللقاء قال لهم «أرينز»: «إن غزو لبنان عام ١٩٨٢م كان بإرادة إلهية، فهي حرب مقدسة مستمدة من العهد القديم ـ التوراة ـ وهذا يؤكد النبوءة، إذ إن هذا الغزو يمكن أن يعني أن معركة مجدو قد اقتربت»[١].

حتى السور العنصري المقيت الذي اقترح بناءه «إسحاق رابين» ـ حمامة السلام المفترسة ـ وشرع «بيريز» في تنفيذه عام ١٩٩٦م، والذي سيحول المناطق الفلسطينية الحالية إلى معتقل كبير للفلسطينيين، استخرجوا له أسطورة من كتاب «القابلاه» في شرح التوراة، تنص على أن القدس هي «الملكوت الذي سيحكم العالم، وستحيط بها المرتفعات، حتى لا تصل إليها قوى الظلام، وستعلو جدرانها؛ حتى يعود التوازن إلى العالم»[٢].

إذن وراء كل «مجزرة» و«مذبحة» و«جريمة» يهودية؛ نبوءة توراتية مزيفة، أو محرفة، وليس على الآخرين سوى أن يرضخوا لإرادة الشعب المختار، لأنها ـ وببساطة ـ إرادة الله في زعمهم.

جاء في أحد بيانات «رعوية المغامرة الكبرى» التي يتزعمها الأصولي الإنجيلي «جورج أوتس»: «إن إنشاء إسرائيل الحديثة هو إيفاء لا ينازَع للنبوءة التوراتية، ونذير بمقدم المسيح، ونعتقد أن اليهود في أي مكان مازالوا هم شعب الله المختار، وأنه يبارك من يباركهم، ويلعن من يلعنهم»[٣].

---

(١) «الحرب العالمية القادمة» (ص: ٣٢)

(٢) «موسوعة اليهودية والصهيونية» د/ عبد الوهاب المسيري (٤/ ١٢٥).

(٣) «القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى» (ص: ٦٠).

فـإذا كانت «الـنبوءات» والنصـوص «التـوراتيـة» تمنح الدولة اللقـيطة هذه الامتـيازات «القدرية» فكيف تتـخلى عنها؟ بل كيف لا تتـمادى في افتـرائها أو تحريفها وتأويلها لتجني من ورائها المزيد والمزيد من حصادها؟!

■ ● ■

ومما يؤكِّد عبثـيـة اليهود في أمر النبوءات، أن من الجماعات اليـهودية فئاتٍ ترفض قـيام دولة يهـودية أصلًا، باعـتبـار أن ذلك نذير هلاك اليهـود وفنائهم، وذلك بناءً على «نبوءات» واردة في كتبهم.

في حين بَيَّن كثيـر من الباحثين المسلمين أن النبوءات التي يستبـشر بها أهل الكتاب إنما هي بشارات ببعثة رسول الله محمد ﷺ، وبالتمكين لأمته، وهزيمة أعدائهم، ولا يمكن تأويلها وفقًا لمزاعم اليهود والنصارى، كما بيَّن ذلك الدكتور أحمد حجازي السقـا في كتابه «هرمجدون حقيقة أم خيـال»، وكما بين الدكتور سفـر الحوالي في كتـابه «يوم الغضب»، وأخص بالذكـر الفصل البـديع المسمى «شهادة قطعيـة» ص (٣٥-٤٤)، حيث استخرج فيه من نصوص كـتبهم صفاتِ بيت الله الحرام، والكـعبة المشـرفة بصورة رائـعة وقاطعـة أن المقصـود بها «مكة المكرمة» وليس «القدس»، ولا «الهيكل المزعوم».

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾

بدخول الألفية الثالثة تقترب نهاية دورة الزمان في التأريخ اليهودي، لتبدأ دورة ملك السلام اليهودي الذي سيقضي على كل أعداء إسرائيل في زعمهم، ومن هنا فهم يسعون إلى تهيئة عالم الشهادة لقدومه من عالم الغيب، وقد قامت دولته، ووحِّدت عاصمته، وجُهِّز هيكله. ويستثمر اليهود عقيدة النصارى في «هرمجدون» و«الألفية» و«عودة المسيح» بخبث ودهاء، وينظرون إليهم على أنهم «بلهاء» إذ يقتنعون بالتعاون حاليًا معهم على هدم المسجد الأقصى، وإعادة بناء الهيكل، باعتباره القدر المتفق عليه بينهما، في حين يُؤَجَّل حسم نقاط الخلاف بينهما إلى ما بعد مجيء المسيح.

أما السذج من النصارى فيحسنون الظن بيهود، ويتوقعون أنهم سوف تتملكهم المفاجأة حين يعود المسيح، ويكتشفون أنه عيسى ابن مريم عليه السلام، فيؤمن به صفوتهم تلقائيًّا، ويدخلون في «النصرانية»، أما شرارهم فسوف يكونون مع الدجال ضده، ويهزمهم المسيح، وعلى كل الأحوال فإن «الأصولية النصرانية» ـ رغم الغزل الذي تردده صباح مساء في حق اليهود وإسرائيل ـ لا ترى لهم حقًا في القدس إلا باعتبارهم «آلة» قدرية تهيء الدنيا لمقدم المسيح العائد ليعمِّدَ اليهود وسائر البشر في الأرض المقدسة.

وما أحسن ما قال الدكتور عبد العزيز مصطفى كامل ـ حفظه الله ـ في هذا الشأن: «إن فرح النصارى باليهود ورعايتهم لهم في عصرنا، هو أشبه بفرح علماء المختبرات بالعثور على الفئران أو الضفادع أو الحيات النادرة التي لا يمكن إنجاح التجارب إلا بها، وهذه المخلوقات ـ على وضاعتها وحقارتها، وخطورتها

أيضًا ـ تلقى كل الرعاية والحرص، لا حبًّا فيها، ولكن لأن الاختبارات لن تجتاز إلا بها!

فالمسيح لن يأتي إلا بعد خروج الدجال، والدجال لن يأتي إلا بعد عودة اليهود إلى القدس، وهدمهم الأقصى، وبنائهم الهيكل، وذبحهم البقرة... إلخ.

فاليهود على هذا شر لابد منه، والدجال قدر لابد من مواجهته، وهذا الدجال الذي تؤمن النصارى بحتمية خروجه؛ قد وردت بشأنه الأخبار في مصادرهم»[١].

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» (ص: ٢٢٩).

الملحمة كما ثبتت في السنة الشريفة

عن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: مال مكحولٌ وابن أبي زكريا إلى خالد بن معدان، وملتُ معهم، فحدثنا عن جُبير بن نفير، عن الهدنة، قال: قال جبير: انطلق بنا إلى ذي مِخْبَر، رجل من أصحاب النبي ﷺ، فأتيناه، فسأله جبير عن الهدنة، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستصالحون الروم صلحًا آمنًا، فتغزون أنتم وهم عدوًّا من ورائكم، فتُنصرون، وتغنمون، وتَسْلَمون، ثم ترجعون حتى تنزلوا بِمَرْجٍ ذي تُلُول، فيرفع رجلٌ من أهل النصرانية الصليبَ، فيقول: غَلَبَ الصليبُ، فيغضب رجل من المسلمين فَيَدُقُّه، فعند ذلك تغدرُ الرومُ، وتجمع للملحمة»[(١)]، وزاد بعضهم: «فيثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيقتتلون، فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة»[(٢)].

إن الملحمة معركة كبيرة هائلة تقع بين المسلمين والصليبيين[(٣)]، وسببها هو السبب الذي أشار إليه الحديث السابق، وقد جاء أكثر من حديث يصف هذه المعركة وهولها، وكيف يكون صبر المسلمين فيها، ثم يكون النصر لهم على أعدائهم، ويلاحظ أنه يكون في صفوف المسلمين أعداد كبيرة من النصارى الذين أسلموا وحسن إسلامهم، ففي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٢٧٦٧)، (٤٢٩٢)، وهو في «صحيح أبي داود» رقم (٣٦٠٧).

(٢) «صحيح أبي داود» رقم (٣٦٠٨).

(٣) تدل الأحاديث النبوية الشريفة على أن الروم يكونون في آخر الزمان أكثر الناس عددًا، ففي مسند أحمد وصحيح مسلم عن المستورد أن رسول الله ﷺ قال: «**تقوم الساعة والروم أكثر عددًا**».

رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق[(١)]، فيخرج لهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خَلُّوا بيننا وبين الذين سُبُوا[(٢)] منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا، والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلث أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبداً، فيفتتحون قسطنطينية[(٣)]، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشأم خرج، فبينما هم يعدُّون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن مريم ﷺ فَأَمَّهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الماء في الملح، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته»[(٤)].

وقد حدثنا الرسول ﷺ في حديث آخر عن هول تلك المعركة، وعن الفدائية التي تكون في صفوف المسلمين، حتى أن مجموعات من المسلمين يتبايعون على القتال حتى النصر أو الموت ثلاثة أيام متوالية، ويبدو أن أعداد المسلمين في تلك الأيام قليلة، بدليل أن المسلمين ينتصرون عندما يصلهم المدد من بقية أهل الإسلام، ففي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: **«إن الساعة لا تقوم، حتى لا يُقسم ميراث، ولا يُفرح بغنيمة»**، ثمَّ قال بيده هكذا (ونحاها نحو الشام)، فقال: **«عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل**

---

(١) موضعان بالشام قرب حلب.

(٢) سَبَوْا ، سُبُوا، روايتان، والضم رواية الأكثرين، وإن كان كلاهما صوابًا، لأنهم سُبُوا أولاً، ثم سَبَوْا الكفار.

(٣) هذا فتح آخر غير الذي تمَّ على يد محمد الفاتح.

(٤) رواه مسلم في كتاب «الفتن»، باب فتح القسطنطينية، (٤/ ٢٢٢١) رقم الحديث: (٢٨٩٧).

الإسلام»[١]، قلت: الروم تعني؟[٢] قال: «نعم، وتكون عند ذاكم القتال رَدَّةٌ شديدة[٣]، فيشترطُ المسلمون شُرْطَةً[٤] للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء[٥] هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون، حتى يَحْجُزَ بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كلٌ غيرُ غالبٍ، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان اليوم الرابع نَهَد[٦] إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدَّبْرَةَ[٧] عليهم، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً - إما قال: لا يُرى مثلها، وإما قال: لم يُرَ مثلها - حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم[٨]، فما يُخَلِّفُهُمْ[٩] حتى يخر ميتًا، فَيَتَعادُّ[١٠] بنو الأب كانوا مائة، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمةٍ يُفْرَحُ؟ أو أيُّ ميراثٍ يُقاسَم؟ فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ: إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون[١١] ما في أيديهم، ويُقبِلون، فيبعثون عشرة فوارسَ طليعةً، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ»[١٢]

---

(١) أي للحرب والقتال، وهذا إنما يكون بعد غدر الروم المشار إليه في الحديث السابق.
(٢) القائل هو راوي الحديث عن عبد الله بن مسعود، وهو يُسير بن جابر.
(٣) رَدَّة شديدة: أي عطفة قوية.
(٤) شُرْطَة: طائفة من الجيش تقدم للقتال. (٥) يفيء: يرجع.
(٦) نَهَدَ: أي نهض، وتقدم. (٧) الدَّبْرَة: أي الهزيمة.
(٨) جنباتهم: أي نواحيهم. (٩) يخلفهم: يجاوزهم.
(١٠) أي: يَعُدُّ بعضهم بعضًا. (١١) يرفضون: يتركون.
(١٢) صحيح مسلم، كتاب «الفتن»، باب إقبال الروم في كثرة القتل، (٤/ ٢٢٢٣) ورقمه: (٢٨٩٩).

والظاهر من حديث «الملحمة» أن المسلمين سيكونون وقتها على قدر عظيم من القوة والبأس، حيث إنهم يغزون، ويُنصرون، ويَغنمون، ويعودون سالمين، وواقعنا اليوم يُبْعِد ـ والله أعلم ـ أن تكون «الملحمة» وشيكة طبقًا للأسباب العادية ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (سورة الأنعام: ٨٠). والواجب لمواجهة وتغيير هذا الواقع الأخذ بأسباب القوة والتمكين، وليس الهروب إلى سراب الأماني، والقعود عن العمل بحجة أنه واقع تسبب فيه من قبلنا، وسيصلحه من بعدنا.

موقعة «هَرْمَجِدُّونَ» كما يدعيها النصارى

هرمجدون *Armageddon* كلمة عبرية مكونة من مقطعين: «هر أو هار» معناها الجبل، و«مجدون»: اسم وادٍ في فلسطين، يقع في مرج ابن عامر على بعد ٥٥ ميلاً شمال تل أبيب، و٢٠ ميلاً جنوب شرق حيفا، و ١٥ ميلاً من شاطئ البحر المتوسط.

وقال د. فرنسيس دافيدسن في تفسير الإنجيل: «القصد من هرمجدون مجهول، والترجمة العادية «جبل مَجِدُّو» لا يمكن أن تكون صحيحة، إذ لا جبل في مجدو»[١].

ولا يشير العهد القديم إلى هذا المصطلح، أما العهد الجديد فيذكرها في موضع واحد في سفر الرؤيا: «يجمعهم إلى الموضع الذي يُدْعَى بالعبرانية هرمجدون» الأصحاح (١٦/ ١٥).

(١) «هرمجدون حقيقة أم خيال» د. أحمد حجازي السقا (ص:٧).

ومع أن اليهـود لا يؤمنون بالعهد الجـديد إلا أنهم استثـمروا فكرة «معـركة هرمجدون» لتوجيه الأحداث لصالحهم، وربما ادعوا أن يوم «هرمجدون» هو يوم «غضب الرب» المذكور في توراتهم.

ومعـركة «هرمـجدون» من منظور نصـراني هي مجزرة بشـرية هائلة أو حرب نووية يباد فيـها معظم البشرية، وسوف تقع بـين قوى الشر من جانب ممثلة في الشيطان وجنوده، يعاونه ـ في زعـمهم ـ المسلمون وبعض الروس، وبعض المنشـقين على الكنيسـة، وبعض اليهود أيضـًا، وبين قوى الخـير من جانـب آخر ممثلة في المسـيح وقواته من الملائكة التـي سترافـقه في عـودته، يعاونهم قوى الخير من البشـر ومنها الشعب الأمريكي، وسوف تباد في هذه المعركة غالبية البشر.

وعـقب نهاية المعـركـة بانتصـار المسـيح يقبض علـى الشيطان، ويأسـره، ويسجنه. وأثناء المعركة سوف يُرْفَع الأبرار من النصارى المؤمنين بهذه العقيدة إلى السـماء لمراقـبة أحـداثها من خـلال السحـاب، ثم يعودون سـالمين إلى الأرض ليعيشوا مع المسيح لمدة ألف سنة في «الفردوس الأرضي»[1].

(١) انظر: «البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي» (ص:٩٧-٩٩)، وقد صَحَّ عن من لا ينطق عن الهوى ﷺ أنه قال في شـأن عيسى عليه السلام: **«فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون»** رواه أبو داود، وانظر: «صحيح الجامع الصغير» رقم (٥٢٦٥).

عندما يُصَدِّقُ الكذابُ نفسَه!

لقد افترى الأصوليون الإنجيليون الأكاذيب الكثيرة المتعلقة بنهاية الزمن، ووافقهم يهود عليها في الجملة، وما فتئوا يكررونها، ويلحون في تكرارها حتى صدقوا أنفسهم، ونسوا أنه مبنية على شفا جرفٍ هارٍ[١]، وبلغ يقينهم بها حدًّا جعلهم ينطلقون منها في حياتهم العملية.

يقول أحد الأصوليين الإنجيليين: «لا داعي للتفكير في ديون أمريكا الخارجية، أو ارتفاع الضرائب، أو مستقبل الأجيال القادمة، فالمسألة بضع سنوات، ويتغير كل شيء في العالم جذريًّا» اهـ[٢].

وقد أقام الإنجيليون موقعًا على الشبكة العنكبوتية «الإنترنت» أسموه: «كاميرا المسيح»، وهو موقع مسلط من خلال صورة حية على مدار الساعة بكاميرا فيديو على البوابة الشرقية في القدس القديمة «الباب الذهبي»، وهو المكان الذي يؤمنون أنه موضع ظهور المسيح عند عودته إلى الأرض ثانيةً.

وقد نشر ذلك في جريدة الشرق الأوسط (٦/ ١٩٩٩م) ونقلت الجريدة عن «كريستين دارج» قولها: «إن وضع الكاميرا الآن، يدل على أن المسيح قد اقتربت عودته، سواء هذا العام، أو العام الذي بعده»[٣].

---

(١) وقد تأثر بها بعض المسلمين، حتى أن رجلاً أراد أن يشتري سيارة لتجارته، فلما تشبع بأخبار «هرمجدون» أجَّل شراءها، لأن هذه الحرب ستكون على الخيل، فخشي أن يشتري السيارة، ولا ينتفع بها كما في «أشراط الساعة» لأحمد أبي العينين، هامش (ص: ٣١).

(٢) «القدس بين الوعد الحق، والوعد المفترى» (ص: ٣٧).

(٣) «حمى سنة ٢٠٠٠» (ص: ٢٣٨).

هذا، وإن أخطر ما في فكرة «نهاية التاريخ»، و«مجيء المسيح اليهودي المحارب» أنها أسطورة لاهوتية تحولت ـ بتأثير النصرانية الصهيونية ـ إلى ثقافة صنعت سياسات، وصاغت مواقف، فقد استثمرتها «البروتستانتية الأصولية» في أمريكا، واستغلت عصر العولمة وواقع «القطب الواحد»، واعتبرت هذا العصر هو الفرصة السانحة لنشر النصرانية في ربوع العالم أجمع، ومن يمتنع: فالويل له، أو: «هرمجدون» له!

وإن العديد من رؤساء أمريكا يؤمنون بعقيدة «هرمجدون»، ولعل أشهرهم في ذلك «ريجان».

فقد نشرت مجلة «سان دييجو» في عدد أغسطس عام ١٩٨٥ حديثًا مع الرئيس «ريجان» قال فيه إنه مقتنع بأن المعركة الأخيرة «هرمجدون» بين جوج وماجوج كما وردت في سِفْر حزقيال أصبحت وشيكة، ونسبت إليه قوله: «إن أرض إسرائيل ستتعرض لهجوم تشنه عليها جيوش الأمم الكافرة[1]، وإن ليبيا ستكون من بين تلك الأمم، إن يوم هرمجدون لم يعد بعيداً...».

وقال «ريجان»: «إنني مؤمن من كل قلبي أن الله يرعى أناسًا مثلي ومثلكم لإعداد العالم لعودة ملك الملوك، وسيد الأسياد»[2].

وبعد الغزو العراقي للكويت في أغسطس عام ١٩٩٠ روَّج اليمين النصراني سيناريو أن «صدام حسين» هو المسيح الدجال، الذي سيدعمه الروس في الحرب على إسرائيل، بما يمهد لمعركة هرمجدون بين قوى الشر (المسيح الدجال والعرب والروس)، وقوى الخير (أمريكا وإسرائيل)، لينتهي العالم ويعود المسيح[3].

---

(١) يعنون بذلك ـ المسلمين ـ في زعمهم، بمعاونة الروس.
(٢) «حمى سنة ٢٠٠٠» (ص: ٢٠٣).
(٣) «المسيح اليهودي» (ص: ١٣٦).

وقال «ريجـان» أيضًا: «إن كل النبـوءات الأخرى التي تعين تحـقيـقهـا قبل معركة مجدو قد حدثت، والفصل (٣٨) من حزقيال يقول: «إن الله سيأخذ بني إسرائيل من وسط الكفار حيث سيكونون مشتتين، ثم يلم شملهم مرة أخرى في أرض الميعاد»، وقد حدث هذا بعـد قرابة ألفي سنة، ولأول مرة في التاريخ فإن كل شيء مهيأ لمعركة مجدو، والمجيء الثاني للمسيح»[١].

وأجرى المعهـد النصراني في واشنطن دراسة بقـيادة القس «أندرو لانج» سنة ١٩٨٥م حول إيمان الرئيس الأمريكي «رونالد ريجـان» بنظرية هرمجدون، وجاء في الدراسة: «إن إمكانية إيمان رئيس الولايات المتحـدة بأن الله قد قضى بنشوب حرب نووية؛ من شـأنه أن يرسم علامات استـفهام مـثيرة: فـهل يؤمن بجدوى مبـاحثات التـسليح رئيس يعتنق هذا النظام الديني؟! وخـلال أي أزمة نووية هل سيكون مـترويًـا وعاقلاً مـتزنًا؟! أم أنه سيكون مـتهافتًـا للضغط على الزر وهو يشعر في قـرارة نفسه أنه يساعد الله في مخططـاته التوراتية المقررة مسبـقًا لنهاية الزمن؟!»[٢]

(١) «النبوءة والسياسة» (ص: ٦٤).

(٢) «السابق» (ص: ٧) بتصـرف، ومما يجدر ذكره أن بوش الابن المنتمي إلى «الميثـوديست» رفع شعارات دينية في حرب «تحرير ثم احتلال العـراق» إلى الحد الذي جعل الرئيس الألماني «يوهانس راو» يتهمه بأنه «إنجيلي متطرف»، وقـد نشرت جريدة «الأسبوع» فـي العدد (٣١٦) تاريخ (٢٤/ ٣/ ٠٣) تقريرًا مفـصلاً كتبـه «مصطفى بكري» تحت عنوان: بوش يخوض حـربًا دينية تحت شعار «عـودة المسيح»، انضم إلى طائفة الميثـوديست التي تؤمن بأن بناء الهيكل على أنقاض الأقصى ضـرورة لعودة المسيح، وبين أن غزو أمريكا للعراق ما هو إلا خطوة لتهيئـة المنطقة لنزول المسيح باعتبار أنها أخطر دولة على الكيان اليهودي، وإن أي ضـعف ديني أو سياسي لإسرائيل سيترتب عليه تأخـير ظهور المسيح، وأن كل يوم يمضي دون ظهور المسيح ستُلعن فيه طائفة الميثوديست، ويعذبون بسبب ذلك يوم القيامة.

رأي آخر: «هرمجدون» هي موقعة «اليرموك»

يقول الدكتور أحمد حجازي السقا: «إن يوم الرب العظيم، الذي ستكون فيه معركة هرمجدون؛ له معنى واحد عند اليهود والنصارى والصابئين، وهو الأيام الأولى لظهور النبي الأمي المماثل لموسى[١]، وهذا المعنى عندهم جميعًا محل اتفاق، وهذا النبي الأمي يُطلقون عليه لقب «المسيح المنتظر» اهـ[٢].

وذهب إلى أن «نبوءة الساعة»، و«يوم الرب»، و«معركة هرمجدون» مسميات لمسمى واحد، وأن دانيال النبي قد حدد زمان المعركة بعد سبعين أسبوعًا[٣]، على يد النبي الأمي المماثل لموسى ﷺ، وأن المسيح عيسى قد أمَّن على تحديده، وأن المعركة قد تمت في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه[٤].

يقول الدكتور السقا: «أما يوم الرب، يوم هرمجدون، فقد كان في سنة ٦٣٨م، وقد حدد دانيال سنته، ووافق المسيح عيسى على هذا التحديد في الأصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى» اهـ[٥].

---

(١) في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية: «يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون»، وهذا النبي هو محمد ﷺ، وهو مثل موسى عليه السلام في الحروب والملك والانتصار على الأعداء والمعجزات، وفي الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية أنه لن يقوم نبي في إسرائيل مثل موسى، وعلى ذلك لا يكون هذا النبي من بني إسرائيل، ويكون يوم الرب لصالحه، وليس لصالح الكافرين به من اليهود والأمم ـ انتهى من «هرمجدون حقيقة أم خيال» هامش (ص: ٢١).

(٢) «هرمجدون حقيقة أم خيال» (ص: ٢١).

(٣) والأسبوع هنا سبع سنوات، فيكون زمانها ٧٠ × ٧ = ٤٩٠ سنة.

ومما استدل به د. السقا على أن «هرمجدون» هي «اليارموك» أن كلا الكلمتين ـ بحساب الجُمَّل تساوي (٣٠٨)، انظر: «السابق» (ص: ٣٣).

(٤) «السابق» (ص: ٣٣).

(٥) «السابق» (ص: ٢٣).

ويقول أيضًا: «إن معركة هرمجدون قد حدثت في يوم الرب، في الساعة التي أنبأ المسيح عيسى عليه السلام أنهم سيهلكون فيها إذا لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، والتاريخ يشهد بذلك، فإن هذه المعركة قد حدثت في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه» اهـ[1]، ثم يقول: «ودانيال النبي في الأصحاح الثامن من سفره أنبأ عن هزيمة المسلمين وانتصار اليهود عليهم في فلسطين سنة ١٩٦٧م، ثم أنبأ عن هزيمة اليهود من بعد الانتصار .. فعندنا نبوءتان: نبوءة يوم الرب، وقد تمت في سنة ٦٣٨م، ونبوءة فساد بني إسرائيل وعلوهم مرتين ... وقد تم العلو الكبير في سنة ١٩٦٧م، ونحن نعاصر في زماننا هذا رد العلو الذي هو هزيمة اليهود وطردهم من فلسطين، لقوله: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ (سورة الإسراء: ٥).

إلى أن قال: «فهرمجدون قد تمت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي المسماة في الكتب الإسلامية، بمعركة اليارموك، وما نعاصره اليوم هو أحداث فساد وعلو اليهود في المرة الأولى، واليهود والأمريكان والمسيحيون يعرفون هذه التفرقة، ويشوشون عليها» اهـ[2].

---

(١) «السابق» (ص: ٢٢).
(٢) «السابق» (ص: ٢٣).

اليهود يهربون إلى «هرمجدون»

قال د. السقا: «وفي عصرنا هذا أتى اليهود من بلاد كثيرة إلى أرض فلسطين، وحاربوا المسلمين أهل فلسطين، وأخذوا منهم أرضهم وديارهم وأموالهم ظلمًا وعدوانًا، وقتلوا كثيرين، واستفزوا كثيرين للخروج من فلسطين، وشجعوا اليهود الساكنين في بلاد العالم على الهجرة إلى فلسطين؛ ليكثر عددهم، فيقيموا لهم مملكة عظيمة كمملكة داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ وقد هاجر كثيرون من اليهود إلى فلسطين، وزاحموا أهلها في العيش فيها، وتطاولوا عليهم بكل أنواع الأذى، وقد رد أهل فلسطين عليهم بما قدروا عليه، وقتلوا منهم ـ على قدر طاقتهم ـ ما لا يُعد ولا يُحصى، وعندئذ خاف المهاجرون على حياتهم، فامتنعوا عن البقاء، وسمع بخوفهم من كان يريد الهجرة؛ فلم يهاجر، وكيف يهاجرون إليها وهم سيعيشون في رعب وخوف.

فلما توقفت الهجرة؛ احتال اليهود على إخوانهم بحيلة طريفة هي: أننا نعيش اليوم في عصر معركة «هرمجدون»، ويجب عليكم أن لا تخافوا من الهجرة، فإننا سننتصر وسنقيم مملكة الرب، وإذا أقمناها سوف يراها «المسيح المنتظر» ويأتي ليقودنا جميعًا إلى حرب الأمم، وفتح بلادهم، والملك عليها» اهـ[1].

---

(١) «السابق» (ص: ٢٠).

مقارنة بين «الملحمة» و«هرمجدون»

لقد أُقْحم مصطلح «هرمجدون» مؤخرًا في لغتنا اليومية، مع أنه مصطلح «عبري»، ولو افترضنا ـ جدلاً ـ أن «هرمجدون» هي «الملحمة»، فإن من الخطأِ العدول عن الاصطلاح النبوي العربي إلى اصطلاح عبراني نصراني:

عن محمد بن عبد الله بن الحكم، قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: «سمَّى الله الطالبين من فضله في الشراء والبيع تجارًا، ولم تزل العرب تسميهم التجار، ثم سماهم رسول الله ﷺ بما سمَّى الله به من التجارة، بلسان العرب، والسماسرة اسم من أسماء العجم، فلا نحب أن يسمى رجل يعرف العربية تاجرًا؛ إلا تاجرًا، ولا ينطق بالعربية، فيسمي شيئًا بالعجمية، وذلك أن اللسان الذي اختاره الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لسانُ العرب، فأنزل به كتابه العزيز، وجعله لسانَ خاتم أنبيائه محمد ﷺ»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «فقد كره الشافعية لمن يعرف العربية، أن يسمِّي بغيرها، وأن يتكلم بها خالطًا لها بالعجمية، وهذا الذي ذكره قاله الأئمة، وهو مأثور عن الصحابة والتابعين»[2].

وقد كان الذين أقحموه في لغتنا مضطربين انتقائيين في تعاملهم مع هذا المصطلح: فهم أخذوه عن أهل الكتاب عَلَمًا على معركة تقوم بينهم وبين المسلمين، يزعم أهل الكتاب أنها تنتهي بانتصارهم علينا، في حين جزم الذين أقحموه على ساحتنا الفكرية مؤخرًا أنه اسم لنفس الملحمة التي بشر النبي ﷺ

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» (ص: ١٦٠).
(٢) «السابق» (ص: ١٦١).

بأنها ستـنتهي بانتصار المسلمين، وهاك حـاصلَ الفروقِ الأساسية بـين «الملحمة» وبين «هرمجدون»:

الأول ـ أن خـبـر الملحـمة ثـابت عن رسـول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، كما تقدم، أما «هرمـجدون» فاصطلاح نصراني إسرائيلي لا يُدرى مدى مصداقـيته، ولا ثبوته، وهو مـجرد اسم للموضع الذي يُدَّعى أن المعركـة ستقع فيه، في حين ثبت عنه ﷺ تسـمية موضع الملحمـة بأنه «الأعماق» أو «دابق» موضعان بالشام قرب حلب[1].

الثاني ـ ستقع الملحمة بين أهل الإسلام أتباع خير الأنام ﷺ، وبين الروم النصارى الضالين، في حين يدعي أهل الكتاب أن معـركة «هرمجدون» طرفاها: قوى الشـر، ممثلة ـ في زعمهم ـ في المسلمين ومن حـالفهم، وقوى الخـير وهم النصارى في زعمهم.

الثالث ـ ثبت أن الله عزَّ وجلَّ ينصر المسلمين على أعـدائهم في «الملحمة»، في حين يدعي أصحـاب «هرمجدون» أن الغلـبة ستكون لهم على «قـوى الشر» وهم المسلمون في زعمهم.

الرابع ـ يحدد أهل الكتاب موعد «هرمجدون» وينـتظرون فيه مسيحهم على رأس الألف[2] سواءً الأولى أو الثانيـة، فإن طال الزمان فسـينتظرونها في الألف الثالثة، أمـا الأحاديث النبوية الشريفة فـلم تحدد موعدًا للملحمـة سوى أنها من أشراط الساعة.

---

(١) ولفظ الحديث: **«لا تقـوم الساعـة حتى ينزل الروم بالأعـماق، أو بدابق، فيـخرج لهم جيش من المدينة»** الحديث. رواه مسلم (٢٨٩٧).

(٢) حسب اعتقاد بعضهم، في حين ينتظرها البـعض الآخر «خلال» الألف سنة، وعليه فمعنى «الألفية» عندهم: محتوى الألف.

وقد ذهب بعض الباحثين المسلمين المتخصصين في كتب أهل الكتاب إلى أن المقصود من «هرمجدون» معركة اليرموك (سنة ٦٣٨م) كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

الخامس - أن الترويج لمصطلح «هرمجدون» يعني بالتبع الترويج لمفاهيم يهودية نصرانية لا أصل لها في دين الإسلام، بل التعامل معها على أنها حقائق مُسَلَّمة، أضف إلى ذلك أن لهذه المفاهيم أبعاداً سياسية خبيثة تُظهر أن الاستسلام لليهود الغاصبين أمر حتمي قدري لا مناص منه، وكما آمنت «النصرانية الصهيونية» بهذه الجبرية الحتمية، فكذلك تدعو فكرة «هرمجدون» المسلمين إلى أن ينضموا لهذا القطيع الصائر إلى مصيره المحتوم، وأن ضياع فلسطين، واغتصاب القدس، بل هدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل المزعوم فوق أنقاضه أمور «حتمية» ينبغي الاستسلام لها، وقد وقع في هذا «الفخ» كثير من الكُتَّاب المعاصرين حتى حدد بعضهم باليوم والساعة موعد هدم الأقصى[1]، صانه الله من كل سوء، وحفظه من شر المغضوب عليهم والضالين، وصدق الشاعر إذ يقول:

لا يبلغ الأعداء من جاهلٍ ❊ ما يبلغ الجاهلُ من نفسِه

---

(١) يقول صاحب كتاب «أسرار الساعة» - ولا يستثني -: «في ١/١/١٩٩٩، وفي الساعات الأولى من صباح يوم الجمعة ١٥ رمضان ١٤١٩هـ يتم ارتكاب العمل الكوني المفزع، وهو تفجير المسجد الأقصى...

وبعد تفجير المسجد الأقصى مباشرة يتم دخول الجيوش الغربية الأردن وفلسطين، وتطوق القدس حماية لليهود، حتى يكملوا بناء الهيكل مكان المسجد» اهـ (ص: ١٣٦).

ويدعي محمد عيسى داود - طبقًا للجفر المزعوم - أن «الهيكل سيعاد بناؤه» اهـ، من «المفاجأة» (ص: ٣١٦).

وهذا كله من شؤم «الهرمجدونية» ومحاولة أسلمتها بدعوى أنها مرادفة «للملحمة»، فأسلمة هرمجدون تعني «صهينة» المسلمين كي يدوروا في فلك الأغراض الصهيونية مع توابعها من النصرانية الصهيونية، والبهائية، ونحوها، فيا قوم لا تعطوا بسذاجتكم وجهلكم اليهود فأسًا ليهدموا بها المسجد الأقصى حرسه الله، وصانه من كل سوء.

آخر:

تالله ما ظفر العدو بمثلها ❁ يا خيبة المتنكب الحيرانِ

إن «هرمجدون» ضد السنن الكونية والشرعية، و «الملحمة» متوافقة معها، «هرمجدون» يأس وقنوط، والملحمة: بشرى وأمل.

إن «هرمجدون» تُحبط وتُخَذِّل، و«الملحمة» تنعش الرجاء، وتبعث الأمل.

«هرمجدون» تدعو إلى استحضار هزيمتنا كأمر واقع، و«الملحمة» تجعل انتصار المسلمين هو الأمر الواقع.

العقيدة الألفية

الألفية معناها: محتوى الألف، وهي في الأصل عقيدة يهودية يؤمن أصحابها بأنه على رأس كل ألف[١]؛ لابد أن يشهد العالم أحداثًا كبرى، وستظل تتتابع حتى يجيء الألف الأخير الذي يأتي بصحبته «المُلْك الألفي» الذي يحكم العالم كله بعد فترة من الاضطرابات والحروب والفتن، فالمسيح سيأتي ـ حسب معتقد اليهود ـ قبل يوم السبت، أي قبل اليوم السابع الذي يعني الألف السابعة[٢] من عمر الدنيا[٣].

إن العقيدة الألفية ـ أي حكم المسيح كمَلِكٍ للعالم لمدة ألف سنة ـ هي عقيدة يهودية تقوم على الإيمان بمخلِّص سوف يأتي ليفدي شعب إسرائيل، وينقذه من عذاب المنفى، ويقوده عائدًا إلى أورشليم ليفرض منها الحكم على كل أمم الأرض، والمسيح المنتظر «يهودي» ستكون مهمته العالمية خلاص الشعب وحكم العالم بشريعة صِهْيَوْنَ (انظر أشعياء ٢: ٢-٤)[٤].

(والمنتظر الذي ينتظره اليهود؛ يؤمنون بأنه سيخرج من نسل داود قبل قيام الساعة، أو في «الأيام الأخيرة»كما هو الشائع في تعبير التوراة، وعندما يخرج سيحارب أعداء «إسرائيل»، ويتخذ من القدس عاصمة لمملكته، ويعيد بناء

---

(١) «ألف» ماذا؟ والتقويم الميلادي الذي تحسب به الألفية مرتبط بميلاد المسيح عليه السلام، والكتب التي يؤمن بها اليهود ـ والتي يُفترض أنها مصدر الاعتقاد الألفي عندهم ـ متقدمة على ميلاد المسيح عليه السلام.

(٢) انظر إبطال ذلك في «المهدي وفقه أشراط الساعة» (ص: ٦٨٢-٦٨٤)، وراجع هامش (٢) ص(٤٣).

(٣) «حمى سنة ٢٠٠٠» (ص: ٢٠٤).

(٤) «المسيح اليهودي» (ص: ٢١٨).

الهيكل على الصبغة اليهـودية، أو يعود بعد بنائه ـ على اختلاف بينهم ـ ويحكم بالشريعتين المكتـوبة والشفوية «أي التوراة والتلمود»، ويبـدأ مع عودته الفردوس الأرضي الذي سيدوم ألف عام، ومن هنا جاءت «العـقيدة الألفية» التي هي في الأصل عقيدة يهـودية، ولكن النصارى تبنوها وركَّبوها على مولد المسـيح عيسى ابن مريم بحيث يعتقدون بعودته عند بداية ألفية من ميلاده)[١].

إذن الاعتقـاد في الألفية مفـهوم يهودي الأصل، تسرب إلى النصـرانية من خلال إيمانهـا بالتوراة التي جـاء الإنجيل ليكملها فـقط، وتطور من خلال سـفر «رؤيا يوحنا» ليربط الألفية بمعركة «هرمجدون».

إن «الألفية» عند النصـارى ليست مجرد ذكرى مـيلاد المسيح، بل هي بوابة العبـور إلى عصر جديـد حين يعود المسيح، ومما يدل على عـمق إيمان النصارى بالعقيدة الألفية؛ أنهم قد أصابتهم الحمى الألفية على رأس الألف الأول، وظهر أثر ذلك في الحملات الصليـبية الشرسة التي اندفـعوا بها نحو الشرق للاسـتيلاء على القدس عاصـمة المبعوث الألفي ـ في زعمـهم ـ، ولما لم يظهر، ولـم يعد؛ استأنفوا الانتظار للألف التي تليها[٢].

---

(١) «نذير ونفيـر» (ص:١٨١)، ومن الجدير بالذكـر هنا أن كلتا الأمـتين «اليهود والنـصارى ـ تؤمن بأن منتظرها إذا خـرج فسوف يحكـم العالم من «أورشليم»، ومن الهـيكل الثالث، فـعلى حين تعتـقد طوائف من النصارى بـأن بناء الهيكل الثالث سـيؤدي إلى ظهور المسـيح للمرة الثـانية، فإن اليـهود يعتقدون بأن بناءه سـيؤدي إلى مجيء المسيح للمرة الأولى، وهو عند اليهـود بالطبع غير المسيح ابن مريم عليه السلام» اهـ. من «السابق» (ص:١٨٢).

(٢) «حمى سنة ٢٠٠٠» (ص:٢٠٤).

حمى الألفية وراء الحملات الصليبية

بعد اكتمال الألف الأولى سيطرت المشاعر المرتبطة بفكرة «نهاية الحياة الدنيا» على الغرب الصليبـي، واستطاع «أُريان الثاني»(١) الملقب بالبابا أن يوحد شعوب الغرب الأوربي في مشروع عام هو «الحرب المقـدسة»، واستغل فكرة «الألفية»، وتوقع مـجيء «يوم الدينونة» في التـرويج لهذه الحـرب، مما ضاعف من أعـداد «الحـجاج» النصـارى القادمين إلى فلسطـين، ليكونوا هناك زمن خروج المسـيح الدجال لكي يحاربوه، ولكي يشهدوا عودة المسـيح على الغمام، وشاعت أخبار المنامات التي رأى الـغربيون أنهـا مقدمـات قيام السـاعة، فـهذا المؤرخ «رودلف جلابيـر» يقول في سنة (١٢٠٨م): «بعض الأشخـاص من ذوي المكانة والسلطة يتشاورون في موضوع الأحـداث الخارقة التي جرت للشعب في أورشليم، وهي أحداث عجيبة للغاية، وكانوا يجيـبون بحكمة بأن هذه هي علامة ما قبل مجيء المسـيح الدجال الخـائن، الذي كـان الناس ينتظرون قـدومـه قرب نهـاية الألف بإيمانهم بالكتـاب المقدس، كـما أن كل الأمم شـقوا طريقًـا صوب الشـرق لكي يسيروا عليه لملاقاته» اهـ.

لقد عادت فكرة الخلاص تؤرق الصليبيـين لما ادعوه من اقتراب نهاية العالم، وصهروها في بوتقة واحدة مع ما أطلقوا عليه: الحج المقدس، والحرب المقدسة.

---

(١) وحينما عقد «أورِيان الثاني» الملقب بالبابا اجتمـاعًا في «كليرمونت» بفرنسا في ٢٦ نوفمبر ١٠٩٥م، ألقى خطابه الشهير الذي أشعل به شرارة الحرب الصليبيـة، وقال ـ عليه من الله ما يستحقه ـ: «بأمر الله تتوقف العمليات الحربية بين المسيحيين في أوربا، ويـتجهون بأسلحتهم إلى سحق الكفرة البرابرة المسلمين، اذهبوا وخلِّصوا البلاد المـقدسة من أيدي الكفار، وامتلكوها لأنفسكم، فإنهـا ـ كما تقول التوراة ـ تفيض لبنًا وعسلاً».

لقد أصدر الكاتب الفرنسي «سيلفان جوجنهايم» كتابًا بعنوان «الرعب الزائف للعام ألف» قرر فيه اقتناع الغرب الأوربي بأن القيامة إما مع الألف الميلادية الأولى، وإما بعدها بقليل[1]، فقد كان «قلق القيامة» موجودًا بين عام (٩٥٠ و١٠٤٠م)، ودعا إلى إعادة تقويم مصادر هذه الفكرة، وكيفية تفسيرها، واستشهد بموقف القس «دي فلوري أبون» في سنة ٩٤٤م الذي انتقد فكرة القيامة بعد العام ألف، عندما سمع في كاتدرائية باريس موعظة جاء فيها: «إن المسيح الدجال سيظهر بمجرد تمام العام ألف، وسيعقبه بوقت قصير الحساب الأخير»، ودحض «أبون» هذه الفكرة بأن العالم لا يزال شابًّا، وانتقد الذين تعمدوا اختلاق حوادث خارقة ادعوا حدوثها في العام ألف ليقنعوا الناس بفكرة الألفية» اهـ[2].

إن اليهود لا يوافقون النصارى بالطبع في مفهومهم عن الألفية، فالمعركة العظمى عندهم هي «يوم غضب الرب» وليس «هرمجدون»، كما أن الذي سيظهر ـ طبقًا لعقيدتهم ـ هو «المسيح المنتظر» الآتي للمرة الأولى، وليس المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وبالرغم من ذلك فإن اليهود يُرَوجون لعقيدة «هرمجدون» في الفكر النصراني الغربي، بل ينفقون الأموال الطائلة لترسيخها في عقل الغرب الخاوي دينيًّا، لأنها تخدِم أهدافهم السياسية في تكوين وطن قومي لهم في فلسطين من جانب، كما تساعدهم على تحقيق حُلْمهم في السيطرة على العالم من جانب آخر، وهو ما يعني تسييس الدين في خدمة الأهداف القومية اليهودية، بل تنظم الدولة اللقيطة رحلات سياحية دورية لجذب المؤمنين بالهرمجدون من كل دول العالم وفي مقدمتها أمريكا، لزيارة وادي

(١) وهذه نفس الحمى الألفية التي عاودتهم نكستها منذ بداية الألفية الثالثة.

(٢) انظر: «الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية» للدكتور قاسم عبده قاسم ـ نشر مؤسسة سعيد للدراسة والبحوث الإنسانية والاجتماعية ـ الهرم ـ الجيزة ـ ط. أولى ١٩٩٩م ـ (ص:١١-٣٨).

هرمجدون مسرح العمليات المرتقبة، ومكان معركة نهاية البشر، التي يَدَّعون أن من يدركها أو يدرك العودة الثانية للمسيح فإن شبابه سوف يتجدد، ليبدأ حياة سعيدة لمدة ألف سنة من السلام التام[١].

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة البقرة:٩٦).

«إن نظرية «هرمجدون» تتردد كثيراً في الأزمات، فحين اجتاحت إسرائيل لبنان في سنة ١٩٨٢م، قام أحد دعاتها البارزين في التليفزيون الأمريكي، ويدعى «بات روبرتسون» بعرض الرعب الآتي المتمثل في معركة «هرمجدون»، وأكد أنه مع نهاية عام ١٩٨٢م ستكون هناك قيامة على الأرض، وأن هذه القيامة ستكون في الاتحاد السوفيتي أساسًا، لأنه سيخوض مغامرة، ويبدأ بضرب أمريكا بالأسلحة النووية.

وفي حرب تحرير الكويت سنة ١٩٩١م صدرت مثل هذه النبوءات، وزعم بعض الزعماء الأصوليين أن حرب الخليج الثانية هي بداية لدمار العالم وعودة المسيح الثانية، بل إن هذه العقيدة استخدمت في القرون الوسطى حين نشبت الحروب الدينية في أوروبا، وحين شنت أوروبا حروبها الصليبية على المشرق الإسلامي، فقد روَّجوا حينها لأسطورة هائلة، وهي أنهم مدفوعون لشن هذه الحملات الهمجية من أجل «تحرير» القدس حتى يعود المسيح للظهور ببيت المقدس»[٢].

---

(١) انظر: «البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي» (ص:٩٧-٩٩) بتصرف.
(٢) «حرب أمريكا المقدسة» (ص:٤٢).

أسلمة «هَرْمَجِدُّونَ» جَريمة ... فاحذروها!

إن الذين اعتادوا تبسيط ما لا يمكن تبسيطه يختزلون ظاهرة «الترويج لهرمجدون والألفية» لكي تصبح ـ بسذاجة ـ مجرد «مرادف» للفظة «الملحمة» الثابتة في الحديث الشريف، دون أن يدركوا الآثار السياسية الخطيرة المترتبة على الترويج لهذه الظاهرة، والتي ما كانت لتظهر لو اقتصرنا على «الملحمة» بمفهومها الإسلامي الخالص.

يقول بعض المتحمسين لفكرة «هرمجدون والألفية» وكأنه نصَّب نفسه وصيًّا على أمة الإسلام، أو متحدثًا باسمها: «ثم إننا ـ أي المسلمين ـ نقول: قد يكون الأمر كما يقولون ـ أي اليهود والنصارى ـ من أن قيام الساعة سيكون سنة ٢٠٠٠م، وقد يتقدم قليلاً، وقد يتأخر قليلاً، ولكن الأمر لا يعدو أن يكون متأرجحًا بين القليل والقليل» اهـ[١].

لقد ذكرنا فيما مضى أن الاعتقاد الألفي يهودي الأصل، وأنه تسرب إلى النصرانية وتطور إلى مفهوم «هرمجدون»، ثم تواطأ اليهود والنصارى عليه بصورة مجملة انطلاقًا من مبدأ التراث «اليهو ـ مسيحي»، فما شأننا نحن المسلمين بهم؟ ألم يفرض الله عزَّ وجلَّ علينا ـ على سبيل الحتم واللزوم ـ أن

(١) «هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام» (ص: ٥).

ندعوه سبع عشرة مرة في كل يوم وليلة أن: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ (سورة الفاتحة: ٦-٧).

فما بالنا نلهث وراءهم، ونقتفي أثرهم؟ ألم يقل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الجاثية: ١٨). فما بالنا نتقمص «أهواء الذين لا يعلمون» وننسى تحذير رسول الله ﷺ في قوله: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً شبراً وذراعًا ذراعًا، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم»، **قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»؟!**[1].

(١)رواه البخاري (١٣/ ٢٥٥)، ومسلم (٢٦٦٩).

بريق الرقم «ألف»

لقد انبهر بعض المسلمين ببريق الرقم «ألف»، باعتباره رقمًا صحيحًا ضخمًا نادرًا لابد أن يقترن ـ في وهمهم ـ بأحداث ضخام، وأن يكون جديرًا بأن يصبح نقطة تحول في التاريخ البشري، وبهذا تسربت إليهم عدوى «هوس الألفية» اليهو ـ نصرانية، وانساقوا وراءها انبهارًا بالرقم (٢٠٠٠)[١]، وجهلوا أو تجاهلوا أمورًا:

الأول ـ أن ربط الأحداث الهامة بهذا الرقم الألفي باعتباره يستحق أن يكون نقطة تحول مصيرية وتاريخية لم يرد في الكتاب الكريم ولا السنة الشريفة دليل عليه، ولا يصح التعويل في هذا على المصادر الإسرائيلية المحرفة ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ (سورة النساء: ١٢٣).

الثاني ـ أن هذا منهج مرفوض من الناحية العقلية، لأن أرقام السنوات والعقود والقرون تشبه خطوط الطول والعرض في الخرائط الجغرافية، في كونها خطوطًا وهمية لمجرد تمييز الحدود بين الأماكن والأزمنة، دون أن يكون لها ارتباط أو تأثير بأحداث الدنيا[٢].

---

(١) وبلغ «هوس الألفية» والانبهار بالرقم (٢٠٠٠) إلى حد أنهم خدعوا أنفسهم، وأقاموا الاحتفالات في أول يناير (٢٠٠٠) باعتباره مفتتح الألفية الثالثة، مع أن سنة ٢٠٠٠ هي بداية السنة الأخيرة من الألف الثانية.

(٢) اللهم إلا إذا دل دليل صحيح على ذلك كقول النبي ﷺ: **«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»** رواه أبو داود، والحاكم، وغيرهما، وصححه الألباني.

الثالث ـ أنه إن كان ـ ولابد ـ من هذا الربط؛ فإنه سيكون بالتقويم المعتبر عند الله تعالى، وهو التقويم بالأهلة الذي تحسب به الشهور العربية، المقصودُ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ[1]﴾ الآية، (سورة التوبة:٣٦)، وليس بالتقويم الشمسي الذي تحسب به شهور السنة الميلادية الذي تهدر الشريعة اعتباره في أحكامها، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (سورة البقرة:١٨٩)[2].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السموات والأرض، السنةُ اثنا عشر شهراً، منها أربعة حُرم: ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مُضَر الذي بين جمادى وشعبان» الحديث[3].

وعن الشعبي قال: كتب أبو موسى إلى عمر: «إنه يأتينا كتب ما نعرف تأريخها، فأرِّخ»، فاستشار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم: «أرِّخ لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم»، وقال بعضهم: «أرِّخ لموت رسول الله صلى الله عليه وسلم»، فقال عمر رضي الله عنه: **«أرِّخ لمهاجَر رسول الله ﷺ، فإن مُهاجَر رسول الله ﷺ فرق بين الحق والباطل»**، فأرَّخ[4].

---

(١) فقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ يدل على أن ما سواه من عادات الأمم الأخرى ليس قيِّمًا؛ لما يدخله من الاضطراب والانحراف.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «فظهر بما ذكرناه أنه بالهلال يكون توقيت الشهر والسنة، وأنه ليس شيء يقوم مقام الهلال البتة» اهـ. من «مجموع الفتاوى» (٢٥/ ١٤٠)، وقال أيضًا: «لما ظهر بما ذكرنا عَوْدُ المواقيت إلى الأهلة؛ وجب أن تكون المواقيت كلها معلقة بها» اهـ. من «مجموع الفتاوى» (٢٥/ ١٤٣).

(٣) رواه البخاري (١٠/ ٦)، ومسلم (١٦٧٩).

(٤) «المصنف» لابن أبي شيبة (٣٣٩٥٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميـة ـ رحمه الله ـ: «فإن اتخاذ هذا الميلاد[(١)] عيداً هو دين النصـارى، وليس لذلك أصل في دين الإسـلام، ولم يكن لهذا الميـلاد ذِكرٌ أصلاً على عهد السلف الماضين، بل أصله مأخوذ عن النصارى»[(٢)].

الأبعاد السياسية للعقيدة الألفية

تكمن الأبعاد السياسـية للعقيدة الألفية «السعيـدة» التي يروج لها اليهود في أكبر عملية «غسيل مخ» عالمية، تتبلور في عدة عوائد هي:

(١ ـ قبول العالم لمبدإ أو فكر الإبادة الذي تعـتنقه إسرائيل في كل سلوكها، وهو فكر على العالم قبوله على اعتبار أنه المدخل الطبيعي للحياة السعيدة للرجل الغـربي الذي يؤمن بالنصرانيـة، وبأن خـلاصه لن يتـحقق إلا بالعـودة الثانيـة للمسيح.

٢ ـ قبـول العالم لفكر إبادة عـرب المنطقة، على أنه لا دخل لإسـرائيل في هذا الفكر من قريب أو بعيد، وعرب المنطقة غير مقصودين بالإبادة لذاتهم، وإنما هذه شعوب وُجِدت ـ اتفاقًا ـ في منطقة المعركة القدرية التي سوف تمهد للمجيء الثاني للمسيح، وربما روجت إسرائيل لأنها ستكون أحد ضحايا هذه المعركة.

---

(١) أي ميلاد المسيح عليه السلام.

(٢) «اقتضاء الصـراط المستقيم» (ص:٢٢٦)، وإن مما يؤسف له أن يسود التـأريخ الميلادي في معظم بلاد المسلمين، ويُهـجر التأريخ الهـجري، حتى صـار الناس ـ إلا من رحمـهم الله ـ لا يعرفون أسـماء الشهـور العربيـة، ولا تاريخ اليـوم أو الشهر فـضلاً عن السنـة الهجريـة، ولا يعرف تاريخ مـيلاده الهجري، الأمر الذي أدى إلى أن تمر بهم مواسم فاضلة سُنَّ فيـها التعبد والصيام، وتفوتهم دون أن ينتبهوا لها بسبب هجر التأريخ الهجري.

٣ ـ تبرئة ساحة إسرائيل من الاتهام بالعمل على وقوع هذه المعركة النووية[١] المتوقعة، فالقضية لا تتجاوز كونها نبوءة إنجيلية على العالم النصراني العمل على تحقيقها لصالحه في المقام الأول والأخير، شاءت إسرائيل هذا أم أبت، إذ إنها مجرد وسيلة لتحقيق مشيئة الله في زعمهم.

٤ ـ التمهيد لإنشاء دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات[٢] باعتبار أن هذا وعد إلهي ورد في كتابهم بأنهم يتملكون أرض الميعاد، وبالتالي يتحتم على كل نصراني يؤمن بهذا الكتاب أن يسعى لتحقيق هذه النبوءات حتى ينال رضا الرب في زعمهم)[٣].

---

(١) يدندن «الهرمجديون» حول كونها معركة نووية مدمرة شاملة، ترى هل نجد في هذا تفسيراً للصمت الأمريكي المطبق عن الترسانة النووية لدى الدولة اللقيطة؟

(٢) ينبغي أن ننتبه إلى تفريق القوم بين إسرائيل «الأرض»، وإسرائيل «الدولة»، فكل ما سُمِّي في كتبهم المقدسة أرض إسرائيل فهي بمعناها التوراتي من النيل إلى الفرات، وهو مرادف للأرض الموعودة، التي يرونها ملكًا لهم سواء سكنوها أم لم يسكنوها، ونظرة إلى عُملتهم، بل عَلَم دولتهم ـ فضلاً عن تصريحات ساستهم ـ تؤكد هذا المفهوم، أما إسرائيل «الدولة» فهي الحدود التي وصلوا إليها حتى اللحظة الحاضرة، وقد سأل المستشار الألماني «هوهنكر» «هرتزل» عن الأرض التي يريد؟ فقال: «سنطلب ما نحتاجه، وتزداد المساحة المطلوبة مع ازدياد السكان»، وقال «بن جوريون»: «حدودنا حيث يصل جنودنا»، وقالت «جولدا مائير» لمن سألها عن حدود الدولة: «حدودنا حيث يقف آخر جندي إسرائيلي» وانظر: «حمى سنة ٢٠٠٠» (ص: ٣٥).

(٣) «البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي» (ص: ١٠٦).

قصة الهيكل[١]

جدَّد[٢] سليمان عليه السلام بناء الهيكل لعبادة الله وحده لا شريك له، وشيَّده تشييداً عظيماً منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة، وعندما أتم بناءه تضرع إلى الله أن يحفظ هذا البيت، ويديم ملك بني إسرائيل، فأخبره الله أنه لن يفعل ذلك إلا إذا حفظ اليهود عهدهم مع الله، والتزموا بوصاياه وشرائعه، وإلا فسوف يبيد ملكهم، ويدمر لهم هذا البيت، ويشتتهم، ويقضي عليهم»[٣].

وعاد اليهود إلى كفرهم وعنادهم وعبادتهم الأوثانَ في هيكل سليمان، فأرسل الله الرسل لينذروهم ويحذروهم، كإشعيا، وإرميا، ودانيال، وحزقيال، ونبأوهم أن الله سيدمر لهم هيكلهم، ويخرب لهم مدنهم، ويسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب، ويشتتهم.

كما نبأهم هؤلاء الرسل بحصول السبي البابلي والشتات، ثم عودتهم إلى فلسطين وإعادة بناء الهيكل إذا تابوا إلى الله خلال فترة السبي، وقد وقع كل هذا[٤]، وأعاد اليهود بناء الهيكل للمرة الثانية في عهد «قورش» ملك فارس، ثم جدَّده ـ بعد خمسة قرون ـ «هيرودس» الروماني في ٢٠ ق.م، وبقي هكذا حتى

---

(١) باختصار من «الحرب العالمية القادمة» (ص: ١٥٣-١٥٧).

(٢) يُنْسَبُ بناء الهيكل ـ خطأً ـ إلى سليمان عليه السلام، وإنما بناه أول مرة إبراهيم عليه السلام.

(٣) انظر: «سفر الملوك الأول» (٩/ ٣-٩).

(٤) وخَرَّبَ مَلِكُ بابلَ «نبوخذ نصر» أورشليم، ودمَّر الهيكل، وأحرقه بالنار، وسلب كنوزه، وقتل اليهود، وأسر من تبقى منهم، واستعبدهم عام ٥٨٧ق.م، ثم غزا «قورش» ملك فارس مملكة بابل، وأخضعها لحكمه، فأصبح له ـ تبعًا لذلك ـ السلطان على مملكتي يهوذا وإسرائيل الخاضعتين لبابل، وفي عام ٥٣٨ق.م أصدر «قورش» قراراً سمح لليهود أن يعودوا إلى فلسطين، وأعادوا بناء الهيكل باسم هيكل «زربابل».

أرسل الله إليهم المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فوجدهم قد اتخذوه سوقًا للصرافة والتعامل بالربا، وملهى لسباق الحمام، ومعبدًا للأوثان، فقام بطرد اليهود منه بعد أن وبَّخهم، وأنبأهم بأن الله سيدمر لهم مدينتهم وهيكلهم.

■ ***وهاك بعض نصوص الإنجيل في هذا الشأن:***

(ودخل يسوع إلى هيكل الله، وأخرج جميع الذين يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام، وقال لهم: مكتوب بيتي بيت الصلاة يُدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص) (متى ٢١/ ١٢-١٣).

(يا أورشليم... يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا. هو ذا بيتكم هيكلكم يترك لكم خرابًا) (متى ٢٣/ ٣٧-٣٨).

(.... فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل فقال لهم يسوع: أما تنظرون جميع هذه. الحق أقول لكم: إنه لا يُترك ههنا حجر على حجر لا يُنقَض) (متى ٢٤/ ١).

لكن عيسى عليه السلام نبأهم بخراب الهيكل، ولم ينبئهم بإعادة بنائه مرة أخرى كما فعل أنبياؤهم السابقون.

وتحققت نبوءة عيسى عليه السلام عام ٧٠م عندما هجم «تيطس» الروماني على مدينة القدس ودمر المعبد اليهودي تدميرًا ولم يبق فيه حجر على حجر، وأحرق المدينة بأكملها، وقتل منهم أعدادًا كبيرة، وهرب من نجا منهم من القتل ليتشردوا ويتشتتوا في أنحاء متفرقة من العالم.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح المسلمون مدينة القدس، وكانت آنذاك خاضعة للإمبراطورية الرومانية البيزنطية، وفي عهد الخلافة الأموية بنى عبد الملك بن مروان المسجد الأقصى، وكان ذلك عام ٦٨٥م، وانتهى من البناء عام ٦٩٢م، وظلت القدس تحت قيادة المسلمين حتى عام ١٩٦٧م عندما قام اليهود باحتلال المدينة، فأصبح المسجد الأقصى خاضعًا لسيطرتهم، وبعد احتلال اليهود القدسَ زعموا أن نبوءات أنبياء بني إسرائيل التي كانت تتحدث عن إعادة بناء الهيكل لم يكن مقصودًا بها الهيكل اليهودي الثاني الذي تم بناؤه بعد العودة من فترة السبي البابلي، وإنما يقصد منها إعادة بناء الهيكل اليهودي الثالث بعد العودة من الشتات، والتي تحققت بإنشاء دولة إسرائيل في فلسطين وإعلانها رسميًا عام ١٩٤٨م، هذا رغم أن جميع نصوص أنبياء بني إسرائيل القدامى عن إعادة بناء الهيكل كانت تشير إلى الهيكل الذي سيتم بناؤه بعد العودة من الأسر البابلي، لكن اليهود ـ وكما هي عادتهم ـ يميلون دائمًا لتفسير وتحريف النصوص تبعًا لأهوائهم وأغراضهم.

ويهدف اليهود إلى إعادة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى المبارك[1]، كي يعبدوا المسيح الدجال فيه عند خروجه، ونظرًا لورود نصوص في كتابهم؛ فهم

---

(١) لم يثبت أي دليل مادي على أن المسجد الأقصى بني على أنقاض الهيكل، رغم المحاولات المستميتة من جانب يهود ليعثروا على أي حفريات أو آثار تؤيد هذه المزاعم، ولو ثبت ذلك جدلاً لما ساغ أن يهدم المسجد ليقام مكانه الهيكل، لأن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم نسخت كل الشرائع التي سبقتها، وقد نسخت قبلة اليهود والنصارى، وصارت الصلاة لا تصح ولا تقبل إلا باستقبال الكعبة المشرفة، بل سُدَّت ـ ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كل الطرق المؤدية إلى الجنة، إلا طريقًا على رأسه خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يدخل أحد الجنة ـ بعد بعثته ـ إلا من طريق الإيمان به واتباعه صلى الله عليه وسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«والذي نفسُ محمدٍ بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة؛ يهوديٌّ ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرْسِلْتُ به؛ إلا كان من أصحاب النار»** رواه مسلم (١٥٣).

النصارى منها أنها تشيـر إلى نزول عيسى ابن مريم في هيكل الله عند عودته من السماء لقتـل الدجال، فقد اعتقد الغـرب النصراني نتيجـة للاختـراق الصهيوني للنصرانيـة، أن وجود هذا الهيكل اليـهودي في القدس شرط لازم ومـؤشر على قرب مـجيء المسيح من السمـاء؛ لذا فقد تـعاونوا مع اليهـود على ضرورة هدم المسجد الأقصى، وإعـادة بناء الهيكل اليهودي الثالث على أنقـاضه حتى يعجلوا بمجيء المسيح، فالنصـارى يريدون إعادة بناء الهيكل ليستـقبلوا المسيح عند نزوله من السماء فيه، واليهود يريدون إعادة بنائه ليستقبلوا المسيح الدجال عند خروجه فيـه، ونصوص الـكتاب المقـدس ـ عندهم ـ التي أشـارت إلى نزول عيـسى في الهيكل لا يقـصد منها نزوله فـي الهيكل اليهـودي الذي يخططـون لبنائـه مكان المسجد الأقـصى كما زعمـوا، ولكن يقصد منه طبقًا لما شـرحه النبي ﷺ في أحاديثـه نزول عيسى في المسجد الأقـصى، فقد أشار النبي ﷺ إلى أن عيسى سـينزل من الســماء على المسلمين في المسـجد الأقـصى بالقـدس، والدجـال يحاصرهم داخل المسجد ومعهم إمامهم المهدي.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٨١)، وقد رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «**ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدًا، وهو حيٌّ، ليؤمننَّ به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء؛ ليؤمنن به ولينصرنه**»[١].

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٥٥٥)، رقم (٧٣٢٩).

وقال ﷺ لليهود: «نحن أحق وأولى بموسى منكم»[١] أي من اليهود، ورُوي عنه قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا؛ ما وسعه إلا أن يتبعني»[٢]، ولو بُعِث داود وسليمان ـ بل جميع أنبياء بني إسرائيل ـ لما حكموا إلا بشريعة الإسلام، ولما استقبلوا إلا المسجد الحرام اتباعًا لشريعة سيد الأنام ﷺ؛ فمِن أين للمغضوب عليهم والضالين أنه يتحتم هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل مكانه؟! وهل يجوز أن يُعبد الله تعالى بشريعة منسوخة؟!

إن المسيح عليه السلام سوف يصلي خلف المهدي، ويأتم بصلاته، ويستقبل قبلته، لأنه سيحكم بالإسلام، وبشريعة سيد الأنام ﷺ، التي نسخت كل الشرائع السابقة، ولقد قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبي، والأنبياء أولاد عَلات؛ أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»[٣].

وحين ينزل المسيح عليه السلام فإنه لن يخرج للنصارى، بل سيخرج عليهم، فيكسر صليبهم، ويقتل خنزيرهم، ويقضي على المسيح الدجال، وسوف يضع الجزية، ولن يقبل إلا الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (سورة النساء:١٥٩)[٤]، وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده؛ ليوشكن أن ينزل

(١) رواه البخاري (٧/ ٢١٥)، ومسلم (١١٣٠).

(٢) عزاه الحافظ إلى الإمام أحمد، وابن أبي شيبة، والبزار من حديث جابر، وقال في «الفتح»: «ورجاله موثقون، إلا أن في مجالدٍ ضعفًا» اهـ. (١٣/ ٣٣٤)، لكن حسنه الألباني ـ رحمه الله ـ في «إرواء الغليل» (٦/ ٣٤-٣٨).

(٣) رواه البخاري (٦/ ٣٥٢)، ومسلم (٢٣٦٥) (١٤٥).

(٤) هذا على القول بأن الهاء في قوله: ﴿مَوْتِهِ﴾ تعود إلى المسيح عليه السلام، وانظر «صحيح الجامع» (٥/ ٢٢٦) رقم (٥٨٧٧).

فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب»[(١)] .
الحديث، وفي حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام»[(٢)] الحديث.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة البقرة: ١٢٤).

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٥)، والصالحون من ذرية إبراهيم عليه السلام هم أبناء يعقوب «إسرائيل»، وأبناء إسماعيل من العرب، والوعد بوراثة الأرض وعد شرعي، وليس أمرًا قدريًا، فليس يُستحق بناءً على جنس أو عرق أو لون وإنما على شرط واحد هو الصلاح: ﴿ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾، والتقوى: ﴿ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ١٢٨)، وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ (سورة النور: ٥٥).

فمناط الأهلية للاستخلاف في الأرض والتمكين والاصطفاء هو «الإيمان والعمل الصالح»، وفي وقت كان بنو إسرائيل متمسكين بعهد الله عزَّ وجلَّ كانوا أولى بالاصطفاء من الوثنيين العرب، فلما نقضوا عهد الله، واستكبروا عن الحق

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٤٦٠ ـ فتح)، ومسلم رقم (١٥٥) (٤/ ١٣٥).

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٢١٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٧٧٥، ٦٧٨٢ ـ إحسان)، والإمام أحمد (٢/ ٤٠٦)، وصححه الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٨٤).

غـضب الله عليهم ولعنهم، فـي حين أسلم العرب وآمنوا، فـورَّثهم الله الأرض ليعـبدوه فـيها، وبقي الـيهود مـغرورين بالأمـاني مدَّعين أنهم الشـعب المقدَّس المختار، وكيف يبقى الاصطفاء لقوم طُرِدوا منه إلى اللعنة والغضب؟!

قال الله تعالى مخاطبًا الأمة المحمدية المرحومة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (سورة آل عمران: ١١٠)، لكنها خيرية مبنية على مؤهلات الإيمان والعـمل الصالح، لا على عنصر أو جنس أو عرق أو لون، وما أصـدق العبـارة التي كان يصـيح بها أهل فلـسطين في وجوه اليـهود الغاصبين: «نحن شعب الله المختار»!

إن البعد الاعتـقادي في قضية فلسطين هو البعـد الأعمق، الذي يصدر عنه أعداؤنا في كل مـواقفهم، فمن السـفه أن يُجرَّد المسلمون من أقـوى سلاح لهم يواجهـون به أعداءهم، وهو سلاح العقـيدة الراسخـة في أن الإسلام هو الدين الحق، وأن الله مولانا، ولا مولى لهم، وأن الرسل الذين يدعـون الانتماء إليهم يتبرأون منهم، ولو بُعثوا لانحازوا بالكليَّةِ إلى جيوش المسلمين المؤمنين الموحدين ضد المغضوب عليهم والضالين.

الدين عند الله[*]

منذ وُجِد الشرك والفساد في الأرض، كانت الأنبياء والرسل يدعون إلى عبادة الله وحده، وينهون عن كل صور الفساد في الأرض، وكان الذين يتبعون الأنبياء هم المؤمنين، كان نوح مؤمنًا، وكان من تبعه مؤمنين، وكذلك كان إبراهيم خليل الرحمن أبو الأنبياء والمرسلين مؤمنًا، وكان أبا المؤمنين، وكذلك كان إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وكذلك كان الأنبياء من بعده إلى عيسى مؤمنين، وكان أتباعهم مؤمنين، حتى بعث الله إلى البشرية كلها خاتَمَهم محمداً ﷺ مؤمنًا، وأتباعه المؤمنون، واليوم يُعرف الذين انتسبوا إلى موسى باليهود أو «الموسويين»، ويُعرف الذين انتسبوا إلى المسيح بالنصارى أو «المسيحيين»، ويعرف الذي آمنوا بمحمد ﷺ بالمسلمين، وكلٌّ يؤمن أن دينه هو دين الله، أو هو الدين عند الله، فما هو الدين عند الله ؟

الحقيقة التي اتفق عليها المسلمون واليهود والنصارى

لا يستطيع مسلم ولا يهودي ولا نصراني أن ينفي الإيمان عن نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء قبل موسى عليه السلام، فالجميع يؤمنون أن هؤلاء كانوا رسل الله المؤمنين، وأن من تبعوهم كانوا مؤمنين، وأنهم كانوا على الدين المرضي عند الله عزَّ وجلَّ، وفي نفس الوقت لا يستطيع أحد أن ينسبهم إلى الموسوية (اليهودية)، ولا إلى المسيحية (النصرانية) لسبب بديهي

(*) مقال للمؤلف نشر بمجلة «بريد الإسلام» العدد الأول.

هو أن «اليهودية» و«النصرانية» لم تكن قد عُرفت بعد في عهد أي واحد من هؤلاء الأنبياء، والسؤال الآن:

ما هو هذا الدين الذي آمن به الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى نوح، إلى إبراهيم، إلى آخر نبي بُعث قبل موسى عليه السلام؟ نعم، ماذا كان دين هؤلاء الأنبياء الذي يتفق اليهود والنصارى والمسلمون على أنه دين الله، وأنه هو الدين المقبول المرضي عند الله سبحانه وتعالى؟

لا يُرى في توراة اليهود، ولا في إنجيل النصارى الحاليين، إثباتٌ لاسم هذا الدين الذي آمن به هؤلاء الأنبياء ومن تبعوهم، فكيف نستطيع معرفة هذا الدين؟

الجواب: هو أن السبيل إلى التعرف عليه هو التفكر في جوهر هذا الدين وحقيقته ومقاصده، ونحن نعلم أن الله عزَّ وجلَّ لما أرسل هؤلاء الأنبياء إلى أممهم فإنه أرسلهم بعقيدة واحدة هي توحيد الله، وبشرائع يدعون الناس إليها تتضمن أوامر الله عزَّ وجلَّ ونواهيه، فَمَن قبلها وانقاد لله فيها: فهو المؤمن الذي آمن بالله ورسوله المبعوث إليه، ودان بالدين الذي يرضاه الله عزَّ وجلَّ ويقبله، فهذا الدين عند الله هو توحيد الله، والانقياد لشرائع الله، والاستسلام لحكم الله، والخضوع لأمره ونهيه والإخلاص له عزَّ وجلَّ في ذلك كله، وإذا حاولنا أن نعبر عن هذه المعاني كلها في لغة العرب بكلمة واحدة تتضمن الاستسلام (الذي هو الخضوع والانقياد)، والسلامة (التي هي الإخلاص)، فلن نجد سوى كلمة واحدة هي: «الإسلام».

نعم، فإن «الإسلام لله» هو التعريف الوحيد الذي يمكن أن يُعبَّر به عن الدين المعتبر والمرضي والمقبول عند الله، هو القاسم المشترك بين رسالات جميع

الأنبياء، هو وحده الذي نستطيع أن نقول: إنه كان دين نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام، ومن تبعهم من المؤمنين: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾(سورة آل عمران: ١٩).

من أجل ذلك لم يكن لفظ «الإسلام» مجرد اسم خاص للتعبير عن رسالة محمد رسول الله ﷺ، ولكنه في حقيقته هو التعبير الوحيد عن جوهر جميع الرسالات السماوية، بما في ذلك رسالة موسى، ورسالة عيسى عليهما السلام، ولم يكن وصف «المسلمين» مجرد اسم لأتباع رسول الله محمد ﷺ، بل هناك معنى «عام» للإسلام وللمسلمين، دلت عليه النصوص الآتية:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾(سورة آل عمران: ١٩).

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(سورة البقرة: ١١٢).

وقال سبحانه حاكيًا دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾(سورة البقرة: ١٢٨).

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾(سورة آل عمران: ٢٠).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾(سورة النساء: ١٢٥).

وقال جلَّ وعلا: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(سورة الأنعام: ٧١).

وقال سبحانه: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ﴾(سورة الحج: ٣٤).

وقد تغيب هذه الحقيقة عن فريقين من الناس:

الأول ـ غير المسلمين، والذين لا يعرفون اللغة العربية على وجه الخصوص: وهؤلاء لا يكاد يتطرق إلى أذهانهم هذا المعنى العظيم الذي يُعبر عنه بكلمة «الإسلام»، نعم هم ينطقونها نفس النطق العربي Islam باعتبارها علمًا على دين خاص، دون أن يفقهوا معناها الحقيقي لكونهم جاهلين بلغة العرب، والواجب إشاعة هذا اللفظ مقرونًا بمعناه بلغة القوم المخاطبين، بحيث كلما ذكرت كلمة «الإسلام» ذُكر معناها في لغة العرب.

والفريق الثاني ـ غير المسلمين ممن يعرفون اللغة العربية: فإنهم إذا سمعوا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (سورة آل عمران: ١٩)، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٨٥). تنصرف أذهانهم إلى الإسلام «الخاص» الذي دعا إليه محمد رسول الله ﷺ، ويحسبون أن رسالة موسى التي يُعبَّر عنها ـ الآن ـ بالموسوية، أو رسالة عيسى التي يُعبر عنها ـ الآن ـ بالمسيحية، لا تدخلان في عموم الإسلام المذكور في الآيتين السابقتين.

ومما يؤسف له أشد الأسف أن هذه الحقيقة قد تغيب عن كثير من المسلمين، فيحملون الآيتين على الإسلام «الخاص»، ولا يفطنون إلى أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين، وأنهم وأتباعهم أجمعين كانوا مسلمين، ومن أجل توضيح هذه الحقيقة، نذكر شواهدها وأدلتها من القرآن الكريم:

فقد خاطب الله عزَّ وجلَّ رسله الكرام ـ عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (سورة المؤمنون: ٥١-٥٢). أي: هذه ملتكم واحدة،

لأن كلمة «أمة» هنا معناها: الدين والملة، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (سورة الشورى: ١٣).

وقال سبحانه في حق الأنبياء عليهم السلام: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ٧٩-٨٠).

وقال سبحانه حاكيًا عن أول رسول منه إلى أهل الأرض نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة يونس: ٧٢).

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ٦٧).

وقال تعالى عن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٣٠-١٣٢).

وقال عزَّ وجلَّ في شأن يعقوب عليه السلام: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة: ١٣٣).

وحكى عن يوسف عليه السلام دعاءه: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (سورة يوسف: ١٠١).

وحكى عن لوط عليه السلام أنه: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة الذاريات: ٣١-٣٦).

وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ (سورة يونس: ٨٤).

وقال تعالى حكاية عن سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (سورة الأعراف: ١٢٦).

وقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة يونس: ٩٠).

وقال سبحانه حاكيًا عن بلقيس: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (سورة النمل: ٢٩-٣١).

وقال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ (سورة النمل: ٤٢)، إلى قوله تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة النمل: ٤٤).

وقال سبحانه في شأن عيسى عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ٥٢).

وقال تعالى عن الحواريين أيضًا: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة المائدة: ١١١).

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٤٤).

قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ : «وأريد بإجرائها - يعني هذه الصفة - التعريض باليهود وأنهم بعداء عن صلة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث، وأن اليهودية بمعزل» اهـ.

وقال ابن منظور في «لسان العرب»: «وقوله تعالى: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ فسره تغلب فقال: كل نبي بعث بالإسلام غير أن الشرائع تختلف» اهـ.

وقال تعالى عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ (سورة القصص: ٥٢-٥٣).

يعني أن المؤمنين منهم بدينهم حقًّا يقولون: إنا كنا من قبل نزول القرآن مسلمين، فلم يقولوا إنا كنا من قبله يهودًا أو نصارى.

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ٨٣-٨٥).

■ **وللنص القرآني إيحاءات منها:**

أن الدين عند الله الإسلام، وأنه لا يقبل من أحد دين سوى الإسلام، وأن من في السموات والأرض قد أسلموا لله عزَّ وجلَّ طوعًا وكرهًا، وأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) والأسباط وموسى وعيسى وجميع الأنبياء مسلمون.

وقال تعالى مخاطبًا هذه الأمة المحمدية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢).

وقال عزَّ وجلَّ أيضًا: ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (سورة المائدة: ٣).

يتحصل لنا من كل ما سبق أن «الإسلام» اسم للدين الواحد الذي هتف به جميع الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأن هذا الإسلام يعني الطاعة، والانقياد والاستسلام لله تعالى، بفعل ما يأمر به، وترك ما ينهى عنه.

ولذلك فإن الإسلام في عهد نوح عليه السلام كان يتحقق باتباع ما جاء به نوح، وكانت كلمة النجاة في رسالته: «لا إله إلا الله، نوحٌ رسول الله»، وفي عهد موسى مثلاً كانت: «لا إله إلا الله، موسى رسول الله»، وفي عهد عيسى عليه السلام كانت كلمة النجاة: «لا إله إلا الله، عيسى رسول الله»، وهكذا كانت كلمة النجاة في الرسالة الخاتمة الخالدة: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله».

ومن هنا كان مقتضى إيمان قوم موسى عليه السلام عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بالتوراة، والانقياد لشريعة موسى عليه السلام، وليس الدين لموسى، ولكنه دين الله، وموسى رسوله والمبلغ عنه، والذين اتبعوا موسى، وآمنوا بالتوراة التي أنزلت عليه كانوا مسلمين خاضعين لله سبحانه وتعالى، فإنهم بهذا الإيمان

والانقياد والخضوع والاستسلام لله عزَّ وجلَّ إنما يكونون قد «أسلموا» لله فيما أرادهم أن يسلموا له فيه.

وتوالى رسل الله بعد موسى عليه السلام، وكان مقتضى الإسلام لله عزَّ وجلَّ الإيمان بالرسل جميعًا وبرسالاتهم، وهكذا إلى أن بعث الله عبده ورسوله عيسى المسيح عليه السلام، فدعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والانقياد لشرعه، والإيمان بكتابه الإنجيل المنزل من عند الله، وليس الدين للمسيح، وإنما هو دين الله الذي أرسل به جميع رسله وأنبيائه، والذين آمنوا بالمسيح عليه السلام وبالإنجيل كانوا مسلمين خاضعين لله سبحانه، لأنهم «أسلموا لله» فيما أرادهم أن يسلموا له فيه.

وهكذا أيضًا كان مقتضى إيمان الأمة المحمدية التصديق بتوحيد الله عزَّ وجلَّ لا شريك له، والإيمان برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن العظيم، فليس الدين لمحمد ولا لعيسى ولا لموسى إنما هو دين الله، دين واحد هو الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (سورة آل عمران: ١٩).

■ *ومن هنا يتقرر أمور:*

الأول - خطأ تسمية البعض هذا الدين بـ «الموسوية» أو «المسيحية» أو «المحمدية»، إنما هو «الإسلام» دين واحد أرسل الله به جميع الرسل عليهم السلام داعين أممهم إليه، فمن أجابهم كان مسلمًا.

الثاني - خطأ إطلاق عبارة «الأديان السماوية» بصيغة الجمع، فلا توجد «أديان» سماوية متعددة، إنما الذي أُنزل من السماء «دين واحد» هو الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (سورة آل عمران: ١٩)، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٨٥).

وإنما الذي يتعدد هو «الرسالات» أو «الشرائع السماوية»، والأحكام العملية التي تختلف من نبي إلى آخر، كتفاصيل وكيفية الطهارة، والصلاة، والصيام، والزواج، والمعاملات، وغيرها.

وهذا ما يبينه قوله ﷺ: «الأنبياء إخوة لعَلَّات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»[1]، قال العلماء: أولاد العَلات هم الإخوة لأبٍ من أمهات شتى، وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم: أولاد الأعيان.

ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد، فهم متفقون في أصول التوحيد والطاعة، أما شرائعهم فيقع فيها الاختلاف.

الثالث - بطلان الفكرة الضالة الداعية إلى «التقريب بين الأديان السماوية» لأنه ليس هناك «أديان» سماوية، وإنما الدين السماوي واحد هو «الإسلام»، فمحاولة التوفيق بين الإسلام وغيره من الأديان إنما هي محاولة للتوفيق بين الحق والباطل، وبين الكفر والإيمان، وبين دين سماوي أنزله الله وبين دين صنعه البشر أو حَرَّفوه وغيروه، وإذا كان الدين عند الله واحدًا - كما سبق توضيحه - فكيف يمكن الدعوة إلى التقريب بين الشيء ونفسه؟![2]

الرابع - بطلان الدعوة إلى «الإبراهيمية»، بالتقريب بين ما يسمونه «الأديان الثلاثة» بحجة إيمانهم جميعًا بإبراهيم عليه السلام، «ولاشك أن من رام القرب من اليهودية والنصرانية - فضلاً عن سائر الملل الوثنية - فقد رغب عن ملة إبراهيم، التي هي الحنيفية المسلمة، وقد أمر الله عباده المؤمنين بلزومها، فقال: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٥٢)، ومسلم (٢٣٦٥) (١٤٥).

(٢) وقد صنف الدكتور أحمد بن عبد الرحمن القاضي - حفظه الله - دراسة علمية قيمة في دحض دعوة «التقريب بين الأديان»، وطبعتها دار ابن الجوزي بالدمام ١٤٢٢هـ في أربعة مجلدات.

إبراهيم هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (سورة الحج:٧٨)، يعني: فالزموها، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (سورة آل عمران:٩٥).

وملته ﷺ هي ملة الأنبياء قبله وبعده، وهي الإسلام بمعناه العام، الذي يعني إسلام الوجه لله تعالى بالإخلاص له وحده دونما سواه، ونبذ الشرك، والإحسان في عبادته باتباع شرعه الذي شرعه على لسان نبيه الذي بعث إليه، والإيمان بالمعاد، وذلك أحسن الدين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (سورة النساء:١٢٥).

وقد سَفِه اليهود والنصارى أنفسهم حين رغبوا عن ملة إبراهيم، بوقوعهم في أنواع الشرك والبدع، والكفر والفسوق والعصيان، كما قال قتادة: «رغب عن ملته اليهود والنصارى، واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعةً ليست من الله، وتركوا ملة إبراهيم».

ومع ذلك فقد حاولوا انتحاله، والانتساب إليه، فأكذبهم الله، وأبطل دعواهم، وبَرَّأ نبيه الكريم من كفرهم وضلالهم، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (سورة آل عمران:٦٧)، وأنكر عليهم أن يكون أحد من أنبيائه من ذريته على اليهودية أو النصرانية، فقال: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ (سورة البقرة:١٤٠)، كما حاولوا استزلال المؤمنين في عهد النبوة إلى طريقهم، بدعوتهم إلى التهود أو التنصر، فرد الله دعوتهم في نحورهم: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (سورة البقرة:١٣٥)، وامتثل ﷺ أمر ربه فدعاهم إلى ملة إبراهيم، في خطة رشد،

وكلمة سواء، فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ٦٤)، ولكن أتباع عزرا ـ لا موسى ـ، وبولس ـ لا المسيح ـ شَرِقوا بدعوته، ولجُّوا في طغيانهم، واستنكفوا واستكبروا عن اتباع الهدى، ورغبوا عن ملة إبراهيم.

ومن هنا يجب التنبيه إلى خطورة ما يدعو إليه في زماننا بعض الضالين مما يسمونه «الإبراهيمية» كي يلتقى المسلمون مع اليهود والنصارى تحت شعار إبراهيم، وهذا زخرف من القول، لا ينخدع به إلا السذج، وإبراهيم الذي يقصدونه هو إبراهيم «التاريخي» وليس إبراهيم الموحد الحنيف، مع أنهم رغبوا عن ملته، وانتحلوا اسمه الشريف لاقتناص ضحاياهم، ولينتزعوا من أهل الإسلام اعترافًا ضمنيًا ـ بل صريحًا ـ بأنهم على ملة إبراهيم؛ الأمر الذي يعد ـ في حد ذاته ـ رغبة عن ملة إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام»[1].

الخامس ـ أن العقيدة الوحيدة الصحيحة على وجه الأرض منذ بعث الله محمدًا ﷺ إلى اليوم لا توجد إلا في الإسلام، لأن الله عزَّ وجلَّ تكفل بحفظه من التحريف والتغيير: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر: ٩)، وهي نفس العقيدة التي دعا إليها كل الرسل الكرام في كل زمان ومكان، لا تختلف من رسول إلى رسول، ولا من زمان إلى زمان. أما ما عداها فهي عقائد فاسدة متعددة، وفسادها ناشيء من كونها نتاج أفكار البشر وأهوائهم، وقد يكون أصل بعض العقائد صحيحًا لكن التغيير والتحريف طرأ عليها كما هو الحال في زماننا هذا بالنسبة لليهودية والنصرانية.

(١) بتصرف من «دعوة التقريب بين الأديان» (ص: ١٤٢٧-١٤٣١).

السادس ـ أن هذه العقائد الأرضية أو المحرفة هي التي تقبل التعدد فتوصف بأنها «أديان» لأن الله عزَّ وجلَّ سمى الوثنية دينًا فقال عزَّ وجلَّ مخاطبًا مشركي قريش: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ (سورة الكافرون:٦)، وقال سبحانه حاكيًا عن فرعون قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ (سورة غافر:٢٦)، وكان دينهم عبادة فرعون، وقال سبحانه في حق يوسف عليه السلام: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ (سورة يوسف:٧٦).

وقال عزَّ وجلَّ عن اليهود: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (سورة آل عمران:٢٤)، وذمَّ ﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ (سورة الأنعام:١٥٩)، بل سمَّى الله عزَّ وجلَّ ما أحدثه المنحرفون من اللعب واللهو دينًا فقال سبحانه: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ (سورة الأنعام:٧٠)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ (سورة الأعراف:٥١).

فتبين بذلك جواز إطلاق لفظ «الدين» و«الأديان» على ما سوى الإسلام، باعتبار تدينهم بها، كما جاز إطلاق لفظ «الآلهة» على ما يُعبد من دون الله، مع أنه «الإله» الواحد الحق، باعتبار تأليههم لها.

ومما يدل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى قيَّد لفظ «الدين» في مواضع من كتابه الكريم، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ (سورة آل عمران:٨٣)، ووصفه بما يخصصه فقال: ﴿دِينِ الْحَقِّ﴾ (سورة التوبة:٣٣)، وقال: ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (سورة التوبة:٣٦)، وقال: ﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (سورة البينة:٥)، و﴿دِينًا قِيَمًا﴾ (سورة الأنعام:١٦١).

الخاتمة

نسأل الله حُسْنَها، إذا بلغت الروحُ المنتهى

لعلك أدركت أخي القارئ العواقب الوخيمة التي تنتج عن «التسويق» والترويج لفكرة «هرمجدون» بدعوى أنها مجرد «مرادف» للملحمة.

ولعلك رأيت كيف أن «الأساطير» اليهودية، و«النبوءات» المزعومة أو المحرفة - في مبانيها أو معانيها - هي التي تحرك اليهود، وتستنهض هممهم ليحولوها إلى حقائق واقعة مشهودة.

ولعلك تبينت دور الحركات الأصولية النصرانية في الترويج للتأويلات الفاسدة لنبوءاتهم المزعومة، من أجل الكيد والتآمر ضد الجنس البشري بعامة، وضد أمة الإسلام بخاصة.

إن الفرق كبير بين «رصد» أفكار ومواقف الأعداء لنحتاط لأمتنا، ونأخذ أهبتنا، وبين «تصديق» دجلهم، فلا يليق بالمسلمين أن يحبسوا أنفسهم داخل «الشرنقة» التي ينسجها لهم صباح مساء الوهمُ اليهودي الصليبي، ولا أن يفت في عضدهم حمى «هرمجدون»، ولا «هذيان الألفية»، فإن المحموم يهذي بتأثير الحمى، ومما يهذي به الغربُ الكافر أن باطلهم سيعلو حقنا، وأن كفرهم سيهزم إيماننا، وأن شركهم سيطفئ نور توحيدنا، ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (سورة

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (سورة التوبة: ٣٢-٣٣)، ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ (سورة الإسراء: ٥١)، ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ٦٤)، ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (سورة البقرة: ١٣٧).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرس

الموضوع	صفحة

الموضـــوع | صفحة